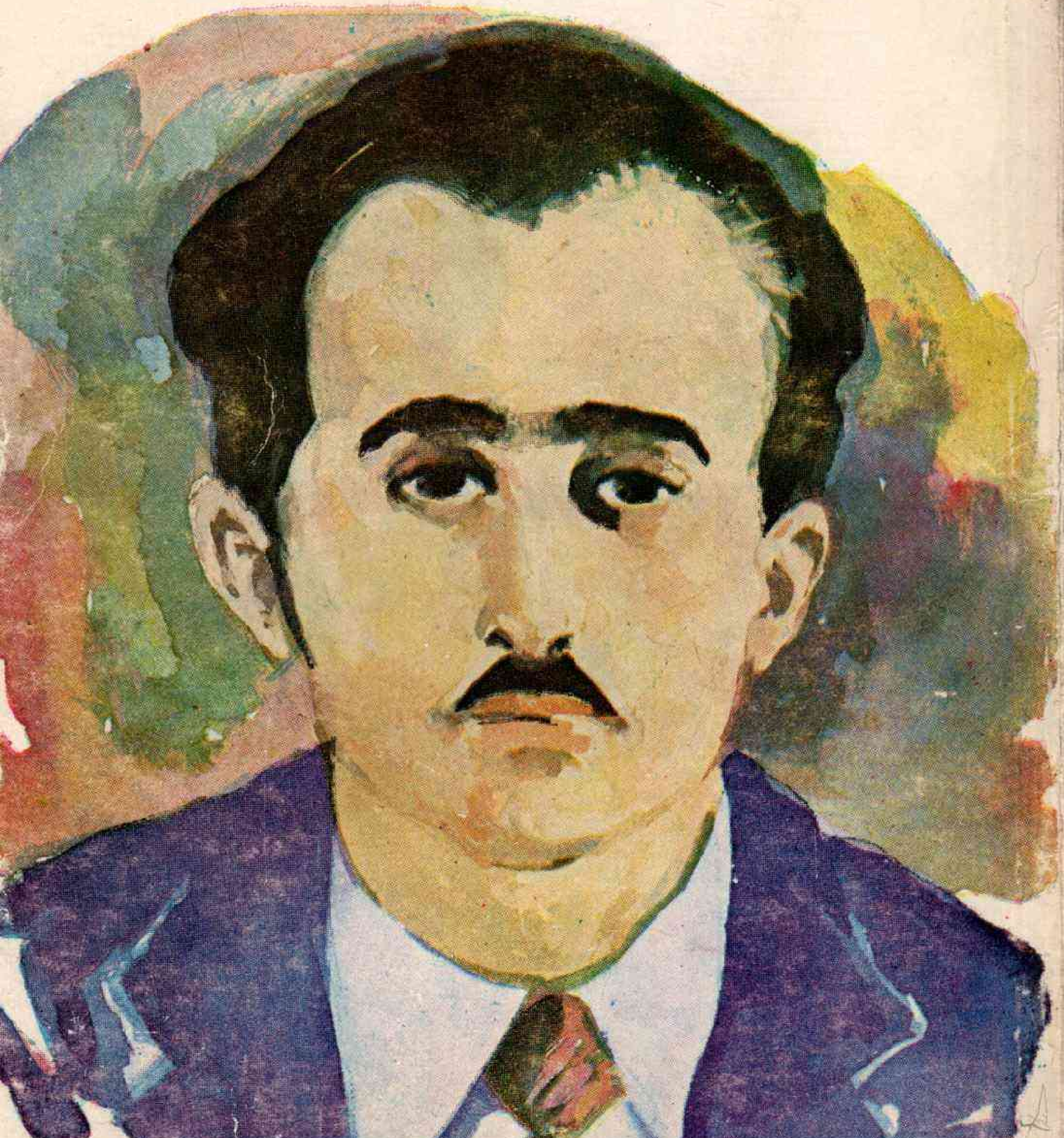
ديوان

عبد الرحيم محمود



ديوان عبد الرحيم محمود

ديوان
عبدالرحيم محمود

جمع القصائد وقدم للديوان الدكتور

كامل السوافيري

اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

دار المودة - بيروت

الطبعة الثانية

١٩٨٠

كلمة

استشهد الشاعر عبد الرحيم محمود يوم ١٣/٧/١٩٤٨ خلال معركة الشجرة ، وكان من قافلة الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن الوطن ، وضد قيام دولة احتلال صهيوني على أرضنا . ومثل كل الشهداء الذين سقطوا على ترابنا ، دفاعاً عن الأرض لم يجد عبد الرحيم من يهتم به ، أو يجمع تراثه .

وكانت محاولة تخليد تراث الشهيد التي تتحدث

عنها مقدمة الدكتور السوافيري ، هي الوحيدة ، ولذلك فما زال شعر الشاعر الشهيد موزعاً وضائعا .

ونحن نحاول اليوم أن نحيي ذكرى شهدائنا ، وأن نخلد شعراءنا وأدبائنا ، ويقف اسم عبد الرحيم محمود بين هؤلاء في المقدمة .

وإننا إذ نقدم هذه المحاولة التي نرى أنها تجاوزت المحاولة الأولى قليلا ، نطمح لأن يستطيع الاتحاد جمع تراث الشاعر ، وإصداره كاملا . كما يطمح الاتحاد الى إصدار كتاب عن حياة الشاعر الشهيد : يصور مراحل حياته ونضاله .

وإننا إذ نصدر هـذا الديوان في الذكرى السنوية السادسة والعشرين لاستشهاد الشاعر ، فإنما نفعل ذلك تقديراً لشهيدنا ولشاعرنا وتكريماً للشعر والشهادة .

وسنظل نذكر أن شاعرنا الشهيد بخس حقه مثل

كل شهدائنا ، وأن علينا أن نعوّض - اذا كان هـذا ممكناً - ما فات .

وتحية منا وعهداً للشاعر الشهيد بأن نواصل مسيرة النضال حتى تحرير كل أرضنا ، وأن نعمل بكل مـا نستطيع لإحيـــاء ذكرى شهدائنا وتخليد آثارهم ، وتعريف الناس بهم .

ناجي علوش
الأمين العام لاتحاد الكتاب
والصحفيين الفلسطينيين

مقدمة

بقلم الدكتور كامل السوافيري

كان الشعر الفلسطيني (*) سلاحاً من أسلحة المعركة التي خاضها عرب فلسطين ضد الانتداب والصهيونية . ولطالما أرقت قصيدة واحدة منه أجفـان جنود بريطانيـا ، وأقضت مضاجعهم وعكرت صفو أمن

(*) أنظر كتابنا الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين .

البلاد ، وأثارت القلاقل والاضطرابات كما حدث حين ألقى ابراهيم طوقان قصيدته الثلاثاء الحمراء على أثر تنفيذ الإعدام في شهداء ثوره البراق الثلاثة فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم في سجن عكا صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ يونيه سنة ١٩٣٠ .

كان سلاحاً ماضياً حاولت حكومة الانتداب إخماد صوته وكتم أنفاسه ولكنها لم تستطع ولم يكن الشعر وحده سلاحاً في المعركة بل وقف النثر الى جواره ممثلاً في المقالة والخطبة بل وقف الفكر بعامة الى جوار الشعر والنثر ولذلك اضطهدت الحكومة البريطانية الشعراء والكتاب والمفكرين والمثقفين ، وحاربتهم حرباً شعواء ، وزجت بالعدد الأكبر منهم في غياهب السجون ، وظلام المعتقلات . وعندما اشتعلت الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ أصدرت الحكومة البريطانية تشريعاً ظالماً يجعل التحريض على

الثورة باللسان أو بالقلم جريمة عقابها السجن مما اضطر عدداً من الكتاب والشعراء للهجرة من فلسطين الى الأقطار المجاورة فراراً من الظلم وسعياً وراء الحرية .

ومما أحفظ حكومة الانتداب على هؤلاء الشعراء والكتاب والمفكرين أن عدداً كبيراً منهم خاض غمار الحرب ضدها ، واشترك في المعارك التي نشبت بينها وبين المجاهدين وأن هؤلاء الشعراء والكتاب والخطباء لم يكتفوا بتغذيتهم المعركة بسلاح الشعر والفكر والقول وإنما ضموا الى سلاح الفكر سلاح البندقية والمدفع وكانوا من الشعراء الفرسان الذين جمعوا بين السيف والقلم وشجاعة اللسان وشجاعة القلب ، ولا نريد أن نسرد الأسماء ، ونحدد الأشخاص ولكننا على سبيل المثال نوجز قصة حياة الشاعر الشهيد « عبد الرحيم محمود » في السطور التالية :

كان هذا الشاعر طالباً في مدرسة النجاح الوطنية بمدينة نابلس ، وتتلمذ لابراهيم طوقان حين كان معلماً للأدب العربي بها ، ولما تخرج عبد الرحيم من المدرسة اختارته معلماً للأدب العربي فيهـا ، وعندما اشتعلت الثورة الكبرى في فلسطـين سنة ١٩٣٦ رأى أن واجبه الوطني يحتم عليه الجهـاد فاستقال من وظيفته التي لم يكن له مورد رزق سواها، وانضم الى المجاهدين في جبل النار تحت لواء القائد عبد الرحيم الحاج محمد ، وأخذ يقتحم الهول ، ويتقدم الصفوف مؤملاً أن يفوز بالاستشهاد ، ولكنه لم يستشهد في تلك السنة ، ولما توقفت الثورة طاردته حكومة الانتداب في فلسطين فهاجر الى العراق .

وبعد أن هدأت الأحوال في فلسطين عاد اليها في أواخر سنة ١٩٤١ وفي سنة ١٩٤٨ عندمـا اشتعلت الثورة ضد التقسيم ودخلت الجيوش العربية فلسطـين

في ١٥ مايو انضم للمجاهدين وظفر بالشهادة في معارك الشجرة بالقرب من مدينة الناصرة في ١٣ يوليه سنة ١٩٤٨ (١) .

وقد لفت هذا الشاعر البطل الشهيد الأنظار ، واستثار الإعجاب لا بين أبناء وطنه فلسطين فحسب بل بين أبناء العروبة في الوطن العربي الكبير لما قدمه أولاً لبلاده وأمته من أغاريد وطنية وقصائد حماسية تزخر بمعاني البطولة ، وتفيض بآيات التضحية .

وثانياً بضربه أروع الأمثال بنفسه حين قدم روحه ودمه فداء لبلاده بعد أن اختار الجهاد المسلح بالمدفع والبندقية طريقاً للنضال ولم يقنع بجهاده بالقلم والشعر. حيث تخلى عن وظيفته في تدريس اللغة العربية بمدرسة

(١) أنظر كتابنا الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

النجاح الوطنية في نابلس . وهي مورد رزقه الوحيد وانضم الى كتائب المجاهدين في جبل النـار تحت لواء القائد الشجاع عبد الرحيم الحاج محمد .

وتقديراً لهـذه البطولة الفذة ، وتخليداً للشاعر المجـاهد الشهيد ، اتجهت جهود الباحثين والدارسين لترجمة حياته ، وجمع شعره وإصدار ديوانـه وإلقاء الأضواء الكاشفة على جوانب هـذه الشخصية الفذة والشاعرية المتوهجة .

وكنت من بين المهتمين بحياته ، الراغبين في جمع قصائده ، الباحثين عن كل ما يتصل بجهاده ، ومـا ينشر من شعره وإعجابـاً مني بجهاده وبطولته ، وإجلالاً لنضاله الشريف وتقديراً لشعره الصادق في التعبير عن نفسه كتبت عنه ثلاث مقالات في صحف أدبية مختلفة :

الأولى : عنوانها « الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود » ، نشرتها مجلة الحج التي تصدر في المملكة العربية السعودية في عددها الصادر في شهري رجب وشعبان سنة ١٣٧٦ هـ الموافق ١٩٥٦ م .

الثانية : عنوانها « الشاعر المجاهد عبد الرحيم محمود » ، نشرتها مجلة التعليم والثقافة التي كانت تصدرها ادارة تعليم وثقافة الجيش في مصر في عددها الصادر في مايو سنة ١٩٥٧ .

الثالثة : عنوانها « شاعر من فلسطين » نشرتها مجلة الضاد في مدينة حلب الشهباء في الجمهورية العربية السورية في عددها الصادر في شهري كانون الثاني وشباط سنة ١٩٦١ .

●

ولكني وجـدت أن مـا كتبت عن الشاعر ، من مقالات وما قدمت له من نماذج في كتابي السابق لا يفيه حقه ، فحاولت البحث عن شعره . وجمعه من مصادره ومظانه المختلفة، وأزمعت ان افرد له دراسة خاصة تتناول حياته وشعره وتجلو جوانب شخصيته الفذة ، فهو أولاً شاعر وطني مجيد ،وهو ثانياً مجاهد بطل قدم روحه لبلاده في أشرف معركة .

ولكن صعوبة حصولي على شعره ، حـالت دون انجاز هذه المهمة .

حتى تلقيت في مايو سنة ١٩٥٨ نسخة من ديوانـه الذي اصدرته اللجنة الموقرة بعد أن أخذت على عاتقها مهمة اصداره . وجمعت فيه ما استطاعت العثور عليه من شعره . وكان وصول هذه النسخة لي مبعث بشر ومصدر بهجة وسرور حفزت همتي لأنجز ما أزمعت

القيام به تقديراً لجهـــاد الشاعر ، وتكريماً لنضاله واعترافا بما قدمه لبلاده وأمته من أجلّ التضحيات .

وجعلت هذه الدراسة مكونة من فصول :

الفصل الاول: تناولت فيه نشأة الشاعر وحياته ، وسيرته منذ ولد الى ان استشهد .

وفي الفصل الثاني تنـاولت العوامـل التي اثرت في شعره .

أما الفصل الثالث فقد تناولـت فيه شعر الشاعر بعامة ، وقصة اصـــدار ديوانه ، ونقلت الكلمة التي صدرت بها اللجنة الموقرة الديوان. وعدد القصائد التي نشرتها ، وعدد أبيات كل قصيدة .

وناقشت وجهة نظر اللجنة فيما اختارت للنشر من شعر الشاعر ، وفيما استبعدت ، وفيما اقتصرت على اثباته من عدد أبيـات القصيدة الواحدة دون نشرها كاملة .

وفي الفصل الرابع ألقيت نظرة على شعر الشاعر من خلال ما وصل الينا من شعره . مؤكداً ان ما وصل الينا نزر يسير مما قال . من حيث الموضوعات الشعرية التي تناولها . واللغة التي عبر بهـا ، والصور الشعرية التي استخدمها ، والمنهج الذي اتبعه .

وفي الفصل الخامس أعدت ترتيب قصائد الشاعر وتبويبها حسب موضوعاتها ، وحسب تسلسلها الزمني على قدر ما توصلت اليه من معلومات عن ، كل قصيدة ومناسبتها والجو الذي قيلت فيه .

وختمت هذه الدراسة بالمقالـة الثالثة التي نشرتها مجلة الضاد التي تصدر في حلب الشهباء .

واني اذ أتوجه بأعمق شكري لكل الذين تفضلوا مشكورين فوافوني بما عثروا عليه من شعر الشاعر في المصادر المختلفة ، أرجو أن أكون قد قدمت في هذه الدراسة الموجزة صورة صادقة لحياة الشاعر ، ومراحل

شعره ، وجلوت صفحة من صفحات كفـــاحه المجيد الذي هو جزء من كفاح فلسطين المجاهدة .

وارجو الله أن يسدد خطـــاي ، ويلهمني الرشد والصواب .

محرم سنة ١٣٧٤ هـ

مصر الجديدة في فبراير سنة ١٣٧٤ م

نشأة الشاعر وحياته

ولد « عبد الرحيم » في قرية « عنبتا » التابعة لقضاء « طولكرم » في « فلسطين » سنة ١٩١٣ ، وأحاطه والده الشيخ محمود عبد الحليم – وهو ممن كانوا يتذوقون الشعر ، ويقرضونه – بمظاهر العطف والرعاية . وحين بلغ السابعة من عمره دخل المدرسة الابتدائية في عنبتا ، وتلقى فيها تعليمه في المرحلة الأولى. ونظراً لأن الدراسة بها تقف عند الصف الخامس أكمل الصفين السادس والسابع في مدرسة طولكرم الابتدائية .

ثم انتقل الى مدينة نابلس وأخذ يرتشف علومه ومعارفه في المرحلة الثانوية في مدرسة النجاح الوطنية وهي مدرسة كانت تلقن طلابها الى جانب فروع المعرفة المختلفة حب العرب والعروبة ، وتشعل في نفوسهم جذوة الوطنية وتضع البرامج التي تغذي فيهم الجانب القومي والاعتزاز بالأمجاد العربية التي سطرها التاريخ حيث لم يكن لإدارة المعارف الحكومية سلطان عليها ، وكان يشرف عليها الأديب العلامة المرحوم قدري حافظ

واذا حاولنا تحديد الفترة التي قضاها عبد الرحيم في مدرسة النجاح الثانوية في المرحلة الثانوية فأغلب الظن انها الفترة من ١٩٢٨ – ١٩٣٢ وانه أنهى هذه السنوات الأربع في غضون العام الدراسي ١٩٣٢ – ١٩٣٣ .

وأغلب الظن أيضاً أن عبد الرحيم كان في خلال هذه الفترة تلميذاً لشاعر فلسطين ابراهيم طوقان الذي زاول التعليم في النجاح في العام الدراسي ١٩٢٩–١٩٣٠،

والذي نظم فيه قصيدته الشاعر المعلم التي عارض بهـــا قصيدة أحمد شوقي « العلم والتعليم وواجب المعلم » والتي مطلعها :

قُمْ للمعلم وفّـه التبجيلا
كادَ المعلمُ أن يكونَ رَسولا

والتي استهلها ابراهيم بقوله :

شوقي يقولُ وما دَرى بمُصيبتي
« قُم للمعلم وفـه التبجيـــلا »
اقعد فديتك هل يكون مبَجَّلاً
من كان للنشء الصغار خليلا ؟
ويكاد يقلقني الأمـــير بقوله
« كاد المعلمُ أن يكونَ رسولا »

وأغلب الظن أيضاً أن ابراهيم قـــد لمح في تلميذه الموهبة الشعرية ، ولاحظ مخايل الذكاء والنبوغ فغـذى

هذه الموهبة ، وحبب اليه والى طلابه بمامـــة الأدب والشعر .

تقول فدوى طوقان شقيقة ابراهيم طوقان: « زاول ابراهيم مهنةالتعليم فيمدرسة النجاحالوطنية سنة واحدة وكان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية فحبب اليهم الشعر والأدب ولا أزال أذكر ذلكاليوم الذي أقبل فيه يحدثنا مبتهجاً بأن بعض تلاميذه النجب قد بدأوا ينظمون الشعر على يده »[1] .

وان روابط الود والاخاء قـد توثقت بين الشاعرين وأخذت الأيام تزيدها أحكاماً .

وبعد أن تخرّج عبدالرحيم في النجاح اختارته معلماً للغة العربية والأدبِ العربي بها ففتح عيون طلابـــه على روائع الأدب وعيون الشعر ونفخ فيهم روح الجهـاد ، وأضرم في قلوبهم حب الوطن .

---

(١) ديوان ابراهيم -- المقدمة ص ٢١ .

يقول الاستاذ مروان راضي الطاهر من مقالة له في صحيفة الاخبار بمناسبة مرور عـــام على استشهاد عبد الرحيم ، «درس المرحوم الادب العربي في كلية النجاح الوطنية ، وكان يلقن تلاميـــذه – وحسبي أن أكون احدهم – دروساً في الوطنية والقومية وكان في اثناء تلك المدة مثال المعلم الصادق المخلص لأمته وبلاده » . ونحن عندما نثبت هذه الشهادة نقدمها دليلا ناطقا على اخلاص عبد الرحيم . وشهادة الطالب لاستـــاذه مبعث تقدير واعتزاز واجلال .

وقد ظـــل عبد الرحيم يؤدي عمله في التدريس في النجاح حتى اشتعلت ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ فقرر أن يسهم فيها بنضاله ، ويشارك ببندقيته ومدفعه واستقال من عمله ، وانخرط في كتائب الجهاد تحت قيـادة القائد عبدالرحيم الحاج محمد، وأخذ يستهين بالمخاطر ويندفع نحو الموت ليظفر بنعمة الشهادة . ولكنه لم يظفر بها في تلك الثورة .

وفي غضون سنوات الثـــورة من ١٩٣٦ الى ١٩٣٩ أرسل صيحاته الوطنية في آفاق فلسطين والعالم العربي ، وأبدع اغاريده الحماسية التي وعـــاها وحفظها طلبة وطالبات فلسطين ممن تمـــلوا في مدارس فلسطين بعد ثورة سنة ١٩٣٦ وفي مقدمتها رائعتاه: الشهيد، والشعب الباسل .

وعندما توقفت الثورة في فلسطين سنة ١٩٣٩ طاردت الحكومة البريطـــانية عبد الرحيم مطاردة عنيفة كما طاردت زملاءه المجاهدين الذين حاربوا جنودها فاضطر أن يغادر البلاد ويتجه الى العراق الشقيق .

الشاعر في العراق

أقام الشاعر في العراق زهـــاء ثلاث سنوات من ١٩٣٩ الى١٩٤٢ كان فيها موضع الحفاوة والتكريم من ابناء العراق الكرام . غير ان ما وصلنـا عن نشاطه الادبي ونتاجه الشعري كان قليلا .

وقصارى مـــا نشر عنه في غضون هذه الاعوام الثلاثة انه التحق بالكلية العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط ملازم ، وان حكومة العراق اختارته لتدريس الادب العربي في مدارس بغــداد والبصرة ، وأنه

أسهم – مع اخوانه المجاهدين الفلسطينيين الذين لجأوا للعراق – في ثورة السيد رشيد عالي الكيلاني ضد القوات البريطانية .

وفي مجالات الادب ، وآفاق الشعر كانت له مساجلات مع أعلام الشعر العراقي معروف الرصافي ، مهدي الجواهري وغيرهم .

وأنه نظم في هذه الفترة قصيدته التي تصور شوقه وحنينه لفلسطين ، ولهفته للعودة اليها ، وهي القصيدة التي يقول فيها :

تِلك أوْطاني وهذا رسْمُها
في سُوَيْداءِ فؤادي مُحتَضَرْ
يَتراءى لي على بَهْجَتِها
حيثُما للمُبت الكونْ النظَرْ

وليس مما يطمئن له الفكر أن ينظم الشاعر قصيدة

واحدة وهو في العراق يتشوق فيهـــا الى وطنه ، ويتمنى أن يعود الى ربوعــه ليسعد بمجاليه ، ويهنأ بمراتع طفولته . وليس بين أيدينا من صحف العراق ومجلاته في تلك الفترة ما يلقي الضوء على نتاج الشاعر. ولكننا نعتقد أن هناك نتاجاً شعريـــاً لم نصل اليه ، ولعل الأيام المقبلة ومواصلة البحث وتقصي شعر الشاعر تجلو لنا هذه الصفحة من حيـاة الشاعر وتضيء ما لم نتمكن من إضاءته ، وتقدم لنا ما عجزنا عن الوصول اليه من شعره .

عودة الشاعر الى فلسطين

في أعقـاب سنة ١٩٤١ وبعد أن هدأت الأحوال نسبياً في فلسطين وكفت حكومة الانتداب عـــن مطاردة المجـاهدين ، وتعقب الأحرار من أبناء البلاد عاد الشاعر الى وطنه مبتهج القلب قرير العين ، طيب النفس . واستأنف عمله مرة ثانية في مدرسة النجـاح يلقن طلابـه عيون الأدب ويغرس فيهم حب الوطن وتفيض قريحته بالشعر فيرسل أغاريـــده الوطنية

وأهازيجه الحمـــاسية في آفاق فلسطين ويغرد على أدواحها ، ويطرب القلوب .

وفي خلال هذه الفترة من ١٩٤٢ الى ١٩٤٨ نظم عبد الرحيم أكثر قصائده . ونشر الجزء الأكـبر من شعره في صحف فلسطـين الى أن صدر قرار التقسيم في ١٩ نوفمـبر سنة ١٩٤٧ . وهنا أترك الكلام عنه للمؤرخ الفلسطيني الأستاذ عارف العارف .

ولما صدر قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وقامت الحرب بين العرب واليهود وسافر عبد الرحيم في منتصف شهر كانون الثـاني سنة ١٩٤٨ الى بيروت ومنها الى الشام وبعد أن تدرب في معسكر قطنه على القتال التحق بجيش الإنقاذ فنزل « بلعا » واشترك في معركة « بيار عدس » مع سرية من فوج « حطين » كما اشترك في معركة قامت في رأس العين على مقربـة من

مستعمرة ملبس اليهودية وفي شهر نيسان سنة ١٩٤٨ عين آمراً للانضباط في مدينة طولكرم .

وكان يدون مشاهداتـــه في مذكرات دأب على تدوينها يوماً فيوماً ، وكان فيها كما كان في غيرها من الحالات صريحاً للغاية تقياً وكثيراً ما وجه سهام لومه وتقريعــه للرؤساء الذين شغلوا أنفسهم بالقشور ، وكثيراً ما عبر عن ألمه لبعده عن ميادين القتال وقد اشترك بعد ذلك في النضال الذي قام حول الرملة وفي قطاع الناصرة ، وكان قد رقي الى رتبة ملازم أول . وكان مساعداً لآمر الفوج المسؤول عـن الناصرة وعندما اشتدت معارك الشجرة أمّهـا ليسهم في دره الردى عنها .

والشجرة قرية عربية من أعمال طبرية يسكنهـــا حسب الإحصاء الرسمي الذي أجرته حكومة فلسطين

سنة ١٩٤٥ سبعمائة وسبعون نسمة معظمهم من المسلمين . وتقوم الى جانبها مستعمرة يهودية باسم « السجرة » بالسين بلغ عدد سكانها في السنة نفسها مائتان وواحد وأربعون نسمة ثم كبرت واتسعت وحصنها اليهود لوقوعها بين مجموعة من القرى العربية هي : الشجرة ولوبيا وطرعان وكفركنا وعين ماهل وعرب الصبح والدياجين .

وكان يقوم على مقربة من هذه القرى عدد من المستعمرات وأماكن الاحتشاد اليهودية الأخرى مثل مسحة وساروتا والشمارة . وكثيراً ما حدث الصدام بين هاتين المجموعتين من القرى العربية والمستعمرات اليهودية الواقعة بين قطاعي الجليل الأدنى والأعلى ، وكانت معظم الاشتباكات تقع بين قرية الشجرة العربية ومستعمرة السجرة اليهودية وكان الصراع عنيفاً كلف الفريقين زهاء ألف قتيل وألف جريح .

وفي المعركة التي نشبت بين العرب واليهود في هذه القرية في ١٣ تموز سنة ١٩٤٨ سقط الشاعر المجاهد البطل عبد الرحيم محمود في حومة الشرف إذ أصابته رصاصة في المعركة التي دارت رحاها أمام الشجرة في ذلك اليوم فقضت على حياته . وكان قبل أن يلفظ النفس الأخير وهو محمول في محفة على أكتاف أصدقائه الذين نقلوه الى مستشفى الميدان يتمتم بهذه الكلمات .

إحملوني إحملوني واحْذَروا أن تتركوني
وخُذوني لا تخافوا وإذا مِتُّ ادْفِنوني

واستمرت شفتاه تدمدمان الى أن تلاشى صوته وطارت روحه الى بارئها راضية مرضية .

وقد دفن في مدينة الناصرة لأنها لم تكن يومئذ قد سقطت في أيدي العصابات الصهيونية .

ثم أورد المؤرخ بعض قصائده الشعرية [1] .

---

(١) عارف العارف – النكبة – الجزء الثالث ص ٦٢١ – ٦٢٧ .

وهكذا انتهت حيـــاة الشاعر البطل الذي كان استشهاده أروع قصيدة في سجل حياته بعد أن خلف وراءه شريكة عمره وابنيه الطيب وهو الآن في بداية العقد الرابع من عمره . وطلال في نهاية العقد الثالث. وابنته رقية .

ويتابع ابناه الطيب وطلال دراستهما في المرحلة الجامعية بعد أن أتماها في المرحلة الثانوية .

كما أكملت الإبنة دراستها في المرحلة الثانوية .

العوامل المؤثرة في شعره

لكل شاعر دواع هيأت له ان يبدع القصيد، وعوامل ساعدته على أن ينفث السحـر وينثر الدر ، وأن يصدح ويغرد فيطرب ويشجي . واذا تقصينا هذه العوامـل بالنسبة لشاعرنا الفيناها تتمثل في الاسباب الآتية :

أولا: الموهبة الفطرية. وقد منحه الله موهبة الشعر، والقدرة على نظم فرائده . وقد تغنى الشاعر بشعره في الاغراض المختلفة ، وجال في الميـادين المتعددة وروى الدهر بعض قصائده .

ثانيا : ولقد غذى الشاعر هذه الموهبة بالثقافة والدربة والممارسة . اما الثقافة فقد اتيح له ان يعب من معينها الصافي في مدرسة النجاح الوطنية التي تخرجت منها نخبة مختارة من ابناء فلسطين ، وأبناء الوطن العربي على ايدي اقطاب الفكر ، وأعلام الادب ، ونجوم المعرفة من امثال : الشاعر ابراهيم طوقان ، والشاعر محمد المدناني، والاستاذ أنيس الخوري، والدكتور عمر فروخ . والأديب العالم الاستاذ قدري حافظ طوقان ، وغيرهم .

ويقول صديقنا المرحوم الدكتور زكي المحاسني إن مدرسة النجاح الوطنية قد علمت فريقاً من أحرار الفلسطينيين وضمت اخيار المدرسين من أهل البلاد والبلاد العربية المجاورة بل كانت ولا تزال مركزاً للاشعاع الفكري في فلسطين . ويشرف عليها العالم الرياضي الاستاذ قدري حافظ طوقان (١) .

الدكتور زكي المحاسني – طوقان شاعر فلسطين ط٢ ص ٨٤ – ٨٥

وفي رحاب هذه المدرسة تلقـــى الشاعر قسطاً من علوم اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتهـــا ، وتفهم نصوصاً مختارة أحسن اختيارها مـــدرسو اللغة العربية بالمدرسة .

وقد قررنا آنفاً انها كانت تلقن طلابها بذور الوطنية، وتشعل في نفوسهم جذوة القوميـــة والاعتزاز بالعروبة والعرب الى جانب ما تنير به عقولهم، وتنمي مداركهم، وتغذيهم بالوان العلم والمعرفة في المواد المختلفة. لأنها مدرسة وطنية « حرة » خاصة تضع وحدها برامجها ومناهجها، من النصوص الادبية ، وتاريخ العظماء ما يبعث في نفوس الطلاب العزة والقوة، وينفخ فيهم روح الشجاعة والنضال ويحيي في نفوسهم مـــاضي أمتهم المجيد ، ويبعث فيهم العزيمة على النهوض والرقي والوصول الى أسمى الغايات الوطنية والقومية .

ثالثا : تتلمذ شاعرنا عبدالرحيم على يد شاعر فلسطين ابراهيم طوقان وعلى اعجابه بشعره ، وعلى اتقــانه لعبة الشعر .

ومن العجيب ان يعيش ابراهيم طوقان ٣٦ سنة من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٤١ ، وعبد الرحيم محمود ٣٥ سنة من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٤٨ وان تغتـــال يد الردى الاول وهو في ريعان الشبـاب ويسقط الثاني في ميدان الشرف وهو في ميعة الصبا .

ولو قدر لهذين الشاعرين ان يمتـد بهما العمر لأطربا الدنيا بشعرهما الخالد ، ولبلغا شأوا عـــاليا ترنو اليه الابصار .

رابعا : ثقافة الشاعر الخـاصة والروافـد التي أمدت ثقافته العامة ، ويبدو لنـا من آثاره انه قرأ كثيراً من مؤلفات أعلام الادب، ودواوين فحول الشعر في العصور المختلفة .

وقد لاحظنا تأثره بعدد من الشعراء كقوله :

واحمي حياضي بحد الحســـام
فيعلم قومي بـــأني الفتى

الذي يذكرنا بقول طَرفة بن العبد :

اذا القوم قالوا من فتى خلت انني
عنيت فـــلم أكسل ولم اتبلد

وقوله :

أي لفظ يسع المعنى الذي
منك أستوحيه يا وحي قصيدي
لا يحيط الشعر فيما فيك من
خلـــق زاك ومن عزم شديد

الذي يذكرنا بقول أبي تمام :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
نظم من الشعر او نثر من الخطب

وقوله :

واستنصر العرب الكرام وانهم
غوث الطريد ، ونصرة المستنصر

الذي يذكر بقول أبي الطيب المتنبي :

وبهم فخر كل من نطق الضـــاد
وعوذ الجاني وغوث الطريـــد

وهذه مجرد أمثلة :

وكما قرأ الكثير من دواوين فحول الشعراء في عصر الأدب لاحظنـــا عكوفـه على دراسة القرآن الكريم ، واقتباسه من بيـــانه المشرق ، واستخدام بعض الفاظه وتعبيراته ونكتفي بايراد الأمثلة التالية :

١ - يقول من قصيدته [وعد بلفور]

واذ اعتاق العرب نورى في الدجى
قدحـا وتصهـل تحت كل غضنفر

لما قضى وطرا بفضل سيوفنـــا
نسي اليد البيضـــاء لم يتذكر

٢ – يقول من قصيدته [البطل الشهيد]

كل قلب لـــك فيه مصحف
فيه من ذكرك قرآن خلود
سور قـــد فصلت آياتها
لم تزل تتلى على الدهر الأبيد

٣ – ويقول من قصيدته [حنين إلى الوطن]

لا أرى الجنة إن أدخلتهـــا
وهي خلو منك إلا كسقر
فيصلي القلـــب في كعبته
وتضم الروح قـــدسي الحجر

وهذه مجرد أمثلة أيضا .

خامسا: شهود الشاعر المؤتمرات الوطنية التي كانت

تعقد في مدن فلسطين وقراها ، وتناقش فيها قضايا البلاد ، وفي هذه المؤتمرات كانت تلقي الخطب النارية والقصائد الحماسية التي تحض على الجهاد المقدس والثورة المسلحة دفاعا عن البلاد ..

لطالما أسهم الشاعر في هذه المؤتمرات بشعره الثائر ، وقلبه الفائر . وألهب القـــلوب وأضرم فيها البذل والتضحية . وافتداء الوطن بالمهج والأرواح .

سادساً : جمـاعة القسام وهي أولى الجماعات التي رفعت راية الجهاد المسلح وقدمت أرواحها دفاعاً عن بلادهـا . وقد كون القســام هذه الجماعة ، وأراد من تكوينها أن تكون القدوة حسنة للجماعات في فلسطين بجهادها . ومن أجل هذا ودع الشيخ أهله وخرج على رأس رفاقه في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٣٥ واعتصموا في الجبال. وأخذوا يطلقون النار على قوافل الحكومة وجنودها المسلحين حيث قتلوا «جاويشاً» بريطانيا في

مدينة بيسان وانتقلوا بعد ذلك إلى أحراش قرية يعبد القريبة من مدينة جنين وفي ١٩ نوفمبر استشهد أحد أفراد الجماعة وهو يرقب الطريق لزملائه وفي فجر يوم ٢٠ نوفمبر حاصرت قوات بريطانية ضخمة – تساعدها الطائرات ، الأحراش التي يكمن فيها الشيخ القسام وأصحابه . وأبى الشيخ ومن معه الاستسلام، وأصروا على القتال واشتبكوا – مع هذه القوات الضخمة في معركة غير متكافئة أسفرت عن استشهاد الشيخ القسام واربعة من زملائه ووقوع أربعة آخرين بينهم جريح واحد في أيدي القوات البريطانية ومقتل جندي بريطاني وإصابة اثنين بجراح بالغة .

وقد حاولت حكومة الانتداب أن تصور هذه الجماعة في صورة المخربين الخارجين على القانون والنظام ولكن الشعب احتفل بتشييع جنازتهم احتفالاً عظيماً اذ سارت الألوف خلف هؤلاء الشهداء تشيعها إلى

مثواها الأخير وقد تأججت حماسة المشيعين فاشتبكوا مع قوة بريطـانية وكادت الجنـازة تتحول إلى هجوم على الجنود البريطـــانيين ، وعلى مراكز البوليس في مدينة حيفا .

ونقف عند الشيخ القســام وجماعته وقفة قصيرة لنقرر أن الشيخ بلور نضاله إلى واقع عملي حين قـدم روحه لفلسطين ، وحين تقلد البندقية والمدفع وأطلق الرصاص على بريطانيا وجنودها وان ما قام به الشيخ واصحابه كان يمثل الوجدان الفلسطيني في تلك الحقبة .

وبتعبير أوضح فلسف الشيخ القسام واقع الجهـاد الفلسطيني في الجهاد المسلح بعد أن فشلت الوسائـــل الأخرى . من مظـــاهرات واحتجاجات وبرقيات ومؤتمرات في تغيير سياسة بريطانيا الرامية إلى تحقيق الحلم الصهيوني .

وكان لخروج الشيخ القسام وصحبه أجمل الأثر في في نفوس الشعب الفلسطيني إذ ألهب حماسته ، وأجج في نفوس ابنائه روح النضـــال وأضرم فيهم البطولة والتضحية .

وقد وضع الشعر العربي في فلسطين والأقطـــار العربية على رأس الشيخ عز الدين القسام وأصحـــابه اكاليل المجد، وتوجهم بتيجان الخلود، ونوهت الصحافة العربية بجهاد الجماعة وبطولتها . ووطنيتها وجعلتهـــا المثل الأعلى في الجهاد للجماعات والمنظمات .

وكانت ثورة القســـام والذين معه مقدمة للثورة الوطنيـــة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ التي بدأت باضراب عام في ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦ اي بعد أربعة أشهر فقط من استشهاد الشيخ القسام واصحابه .

وكان لاعضاء القســـام أثر كبير في تنظيم فصائل

الجهـاد المسلح في ثورة ١٩٣٦ ، وكانوا فرساناً معلمين يمتازون بوطنيتهم الصادقة وإيمانهم القوى وشجاعتهم .

نقف لنقرر أن عبد الرحيم تأثر تأثرا كبيرا بالشيخ القسام وبنضاله العملي وبجهـــاده . وبالاسلوب الذي سار عيله للدفاع عن فلسطين والمحافظة على عروبتها .

وجعل ذلك النهج الذي نهجه القسام هو النهج الذي يجب على كل فلسطيني أن يسلكه اذ اراد خدمة بلاده. حين قال في قصيدة من قصائده :

واغصب حقوقك قط لا تستجدها
ان الألى سلبوا الحقوق لئـــام
هذي طريقك للحياة فلا تحد
قد سارها من قبلـــك القسام

سابعا : ثورة فلسطين الكبرى التي بدأت باضراب عام في ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦–بعد مرور أربعة أشهر

على ثورة القسام وجماعته شمل جميع مرافق الحياة في البلاد ثم تحول ابتداء من ١٥ مايو من اضراب وامتناع عن دفع الضرائب الى ثورة مســلحة اتخذت مظاهر مختلفة منها نسف طرق المواصلات والسكك الحديدية وقطع الاسلاك التلفونية واغتيال كبار الموظفين الانجليز، وتأليف فصائل المجاهدين واندماج كل أبنا البلاد في المدن والقرى في صفوف هذه الثورة .

وقد أخذت الثورة تعم وتتسع ، واخذت قيادتها تتوحد وتنتظم واخذت وفود المتطوعين من الاقطار الشقيقة تفـد وتنضم وتنتظم الى المجـاهدين من ابنـاء البلاد .

وقد خاض عبد الرحيم في هذه الثورة العديد من المعارك ، وحارب فيها جنود بريطانيا حربا عنيفة وأوحت اليه والى شعراء فلسطين أروع القصائد . اذ

الهمت ابراهيم طوقان رائعتيه الشهيد والفدائي، وألهمت أبا سلمى قصيدتيه جبل النار وفلسطين وألهمت عبد الرحيم رائعتيه الشهيد والشعب الباسل.

وفي خلال هذه الثورة غدت فلسطين أنشودة خالدة في سفر الجهاد ، وغدا ابناؤها مضرب الأمثال للشعوب والأمم، وغدت سطور جهادها قصصاً تتناقلها صحف العالم واذاعاته ، وقصائد يتغنى بها الدهر .

يقول الشاعر أحمد محرم :

بك يا فلسطين البلاد تعلمت
معنى الجهاد وكان معنى مبهما
هذا كتابك ليس يبلغ شأوه
من نمق الكتب الحسان ونمنما
نعم الكتاب لمن يحب بلاده
ولمن يضن بحقها أن يهضما

ويقول الشيخ فؤاد الخطيب في الشيخ عز الدين القسام:

أولت عمامتك العمائم كلها
شرفاً تقصر عندها التيجان
وجعلت لاسم الشيخ أرفع رتبة
نبذت قديم عهودها الأوطان
ما كنت أحسب قبل شخصك أمة
في بردتيه يضمها إنسان [1]

ثامناً: حياة عبد الرحيم في مدينة نابلس، مدينة العلم والأدب، والسحر والشعر والجمال المدينة الباسلة، مدينة الجهاد والكفاح والنضال التي يحتضنها جبلا جرزيم وعيبال وتظلل جبالها أشجار الزيتون.

وقد أوحى جو نابلس الشاعري، وفتنة مناظرها،

(١) انظر كتابنا «الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين» من ٢٤٦، ٢٧٠ – ٢٧١

وسحر الطبيعة فيهـــا إلى ابراهيم طوقان طائفة من قصـائده ، وإلى فدوى المديـد من قصائدها . وإلى عبد الرحيم بعض فرائده .

تاسعاً : تنقل الشـاعر بين مختلف القرى والمدن في السهول والجبال والشعـاب والأودية ، وتجواله في مدن فلسطين في الشمال والجنوب في نابلس وطولكرم وجنين وفي يافا والرملة والقدس ، واتصاله بالعديد من الشخصيات .

عاشراً : غربـــة الشاعر في العراق زهـاء ثلاث سنوات واحساسه بمـا يعانيـه الغريب النـازح من لذع الشوق إلى مراتع طفولتـه ، وملاعب صبـاه ، وتشوقه الى بلاده ، وحنينـه الى ربوعهـا بعد أن أحرقه البعد ، وأضناه الوجـــد وتمنى أن ينعم برؤية

الوطن والأهل . ويسعد بلقاء الأحباب والاعزاء الذين قضى معهم عهود الطفولة الباسمة .

ومن أجمل ما وصلنا في تصوير عذاب نفسه وحنينه الى وطنه قصيدته الرائعة حنين الى الوطن .

شعره

بعد أن سقط الشاعر شهيداً في حومة الشرف في معارك الشجرة في اليوم الثالث عشر من تموز–يوليه–سنة ١٩٤٨ وقبل أن يتمكن من جمع شعره، وتنسيق قصـــائده، وإعدادها لإصدار ديوانه أخذ نفر من أصدقائه يسعون في جمع قصائده المبعثرة هنا وهناك.

وأخذ عدد من الباحثين والدارسين المهتمين بأدب فلسطين وتراثها الفكري يبحثون عن شعر الشـــاعر

ويبــذلون جهودهم للحصول على ما يتسنى لهم الحصول عليه من قصائده .

وكنت واحداً من هؤلاء ، كنت معجبــاً بنضاله مأخوذاً ببطولته ، مقدراً لشجــاعته ولذلك وجدت نفسي مدفوعاً لدراسته والكتــابة عنه . وقد تابعت بشغف واهتمام قصــائده القليــلة التي أتيح لي ان اطلع عليها ، وأخذت ابذل جهودي في الوصول الى قصائده ، والحصول على طائفة من شعره بعد سنة ١٩٤٨ . وكان ذلك أمراً بالغ الصعوبة لأن اكثر ما نظم الشاعر قد نشر في صحف فلسطين وكارثــة فلسطين التي وقعت سنة ١٩٤٨ جنت على تراثها الفكري والأدبي والعلمي بعد جنايتها على أبنــاء فلسطين وتشردهم حيث نهبت المكتبات العامة والخاصة في بيت المقدس ، وضاعت ثروة فكرية ضخمــة من المؤلفات الفلسطينية في شتى فروع المعرفة .

وازاء تلك الصعوبات توجهت برسالة الى الشاعرة المطبوعة فدوى طوقان راجياً منها ان تمدني بما تستطيع من شعر الشـــاعر ، وقد تفضلت مشكورة فأرسلت لي في ١٤ سبتمبر ١٩٥٠ جزازات من الـــصحف التي كانت تصدر في فلسطين تتضمن بعض قصائد للشعراء عبد الرحيم محمود وكمال ناصر ومحمود الحوت وسعيـد العيسى كانت تحتفظ بها لنفسها وكانت هـذه القصائد قد نشرت في الصحف الفلسطينيـة التي كانت تصدر قبل الكارثة وهي فلسطين – الدفـاع – الصريح – الأخبار .

وكان حصولي على هـــذه الجزازات مصدر بشر وسرور لأنها كانت المصادر الاولى بالنسبة لي عن الشعر الفلسطيني في الوقت الذي لم يكن قد نشر فيه ديوان من دواوينه باستثناء الشاعر اسكندر الخوري . وقد نشرت مكتبة مصر في القاهرة لفدوى ديوانها الأول

سنة ١٩٥٢ وهو أول ديوان من الشعر الفلسطيني ينشر بعد الكارثة .

وأخذت أواصل بذل جهودي للعثور على قصائد الشاعر في مصادرها المختلفـة اولاً ، وعلى قصائد الشعراء من أبناء فلسطين ثانياً ، وبتعبير أدق بدأت سنة ١٩٥٦ التنقيب عن الشعر الفلسطيني بعـــامة لأعد دراستي للحصول على درجة الماجستير في في الأدب العربي من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة في الموضوع الذي اخترته وهو موقف الشعر العربي الحـــديث من محنة فلسطين من ١٩١٧ الى سنة ١٩٥٥ . وعثرت على بعض القصائد القليلة للشاعر في الصحف والمجلات التي رجعت اليها ولكن تلك القصائد لم تكن كافية لاصدار ديوان للشاعر .

* * *

وتراخى الزمن وأقيم حفل تأبين للشاعر في عمان في ١٩٥٦/٩/١٤ ثم تألفت لجنة تولت مهمة جمع قصائد الشاعر ، وتنسيقها ، واصدارها في ديوان وتم ذلك فعلا وأصدرت اللجنة ديوان الشاعر وطبعته في عمان سنة ١٩٥٨ ، وكان ذلك عملا من أجل الاعمال .

شعر الشاعر

وهذه صورة من غلاف الديوان :

ديوان عبد الرحيم محمود
تولت نشره
لجنة تكريم ذكرى الشاعر الشهيد
سنة ١٩٥٨

وبعد الغلاف صورة للشاعر الشهيد تحتها هذان البيتان :

سأحْمِلُ روحي على راحَتي
وأُلقي بها في مهَاوي الرّدى
فإمّا حياةٌ تسَرُّ الصَّديقَ
واما مَماتٌ يَغيظُ العِدَى

وفي الصفحة السابعة صورة اخرى كتب تحتها القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد زميل الشاعر الشهيد في في الجهاد . انظر مرثيته في ص ١٢ .

وفي الصفحة التاسعة كلمة اللجنة .

وأرى لزاماً عليَّ أن أنقل تلك الكلمـة بنصها : قالت اللجنة :

١ – «في منتصف عام ١٩٥٦ تنادت فئة كريمة من رجال الأدب والفكر والوطنية في هذا البلد –عمان– ممن يعرفون الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ويقدرون شاعريته وجهاده في سبيل شعبه ووطنه الى إحيـــاء ذكراه باقامة حفل تأبين له » .

٢ – «وفي الرابع عشر من سبتمبر (ايلول) ١٩٥٦ اقيمت الحفلة في قاعة كلية الحسين في عمان ، وتكلم فيها عدد غير قليل من الخطباء والشعراء من المقيمين في الأردن وممن يقيمون في أقطار عربية أخرى مشيدين بذكرى الشاعر الشهيد الذي وقف قلمه وحياته وشاعريته على تحرير وطنه وشعبه من ربقة الاستعمار ثم قضى شهيداً وهو يذود عن وطنه في معركة الشجرة عام ١٩٤٨ ».

٣ – « وفي تلك الحفلة أعلنت اللجنة أنها ستتولى طبع ديوان الشاعر الشهيد تخليداً لذكره ، وإشادة بفضله، واعترافاً بما قدمه لوطنه من التضحية العظيمة حينما جاد بروحه في سبيله » .

٤ – «غير ان الايام تطاولت قبل ان تتمكن اللجنة المنتدبة لهذا الغرض من تحقيق ذلك الوعد ، لقد كان عليها أن تبحث عن قصائده بحثاً طويلاً لدى ذويه

وأصدقائه ، وفي الصحف التي كان ينشر فيها شعره وكان عليها كذلك أن تدرس تلك القصائد كلها لتختار منها ما يكفي لديوان جدير بعبد الرحيم » .

٥ – « ولم تكن المهمة سهلة فقد كانت تقع في أيدي أعضاء اللجنة عدة نسخ من القصيدة الواحدة أحياناً وكثيراً ما كانت الأبيات تختلف بين كل نسخة وأخرى من حيث عدد الأبيات وترتيبها وعباراتها . وكان على اللجنة ان تأخذ من بينها ما تراه أصوب من سواه » .

٦ – « ونود ان نعترف هنا ان اللجنة لم تر من الصواب ان تجمع في هذا الديوان كل قصائد الشاعر الشهيد ، ولا حتى القسم الأكبر منها ، ولم تر كذلك ان تنشر كل قصيدة له بأكملها ، بل آثرت أن تترك ما تجده ضعيف الصياغة او المعنى سواء أكان ذلك الضعف

في قصيدة كاملة أو في أجزاء أو أبيات من القصيدة . وهكذا اجتمع في هذا الديوان أحسن القصائد التي نظمها عبد الرحيم وأمتنها صياغة وأجودها معاني ، وأدلها على روح عبدالرحيم القوية المجاهدة المحبة للجمال والعدالة والانسانية » .

٧ — «وإن اللجنة إذ تفي بوعدها وتقدم إلى الشعب العربي الكريم هذه المجموعة من شعر عبد الرحيم محمود لا تفعل ذلك إلا لتقوم ببعض الواجب نحو أخ عربي مجاهد عاش شاعراً مجاهداً ومات مجاهداً شاعراً ، وكان أعظم قصائده استشهاده في ميدان الشرف والكرامة والحرية ، وإنسان مثل هذا جدير بكل تكريم فليس في كل ما تحويه الكتب ، ولا ما تخطه الأقلام، ولا ما يقوله الخطباء والشعراء مما يعادل الدم الزكي الذي يراق فدى للوطن والروح الغالية التي يجود بها الشهيد لتحرير الشعب » .

٨ – « ولقد رأت اللجنة أن تجمع في نهاية هذا الديوان بعض الكلمات والقصائد التي ألقيت في حفلة إحياء ذكرى الشاعر الشهيد لأن فيها تعريفاً بحياته وجهاده، وإشادة بشعره وفضله، وبذلك تقدمه للأمة العربية بشعره وحياته ، ومزاياه وأخلاقه ، في آن واحد .

والرحمة والخلود للشاعر الشهيد،والبقاء، والسعادة لأسرته وذويه .

عمان في ١٩٥٨/٥/٦

اللجنة المنتدبة

توفيق أبو شريف عادل الزواتي عيسى الناعوري [١]

---

(١) تضمن القسم الثاني من الديوان كلمات للسادة : اكرم زعيتر الدكتور اسحق موسى الحسيني– قدري طوقان – عبدالرؤوف حمزه وقصيدة للشاعر سيف الدين زيد الكيلاني

ويقع الديوان في سبعين صفحة من القطع المتوسط أخذت قصائد الشاعر التي كونت القسم الأول منه ثلاثا وثلاثين صفحة وأخذت كلمات المتحدثين في الحفل التي كونت القسم الثاني بقية الصفحات . وقد طبع في مطابع شركة الطباعة الحديثة في عمان .

ويضم الديوان – كما اختارت اللجنة قصائده – سبعاً وعشرين قصيدة ومقطوعة للشاعر مسلسلة بالترتيب التالي :

عنوان القصيدة	عدد ابياتها
١ – البطل الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد	١١ بيتاً
٢ – الشهيد	١٩ بيتاً
٣ – العيد	٦ أبيات
٤ – دعوة إلى الجهاد	١١ بيتاً
٥ – الشعب الباسل	١٣ بيتاً

١٨ــ لعبة	٦ أبيـات
١٩ــ السكر شفلي	٦ أبيـات
٢٠ــ لقد تهت	٧ أبيـات
٢١ــ نجوى المحتضرة	٣٤ بيتـا
٢٢ــ الى كل متهاود	٨ أبيـات
٢٣ــ وعد بلفور	١٩ بيتـا
٢٤ــ نجم السعود	١٣ بيتـا
٢٥ــ كبرياء الحب	١٣ بيتـا
٢٦ــ مخلوقة انت فلا تكبري	١٤ بيتـا
٢٧ــ بين الشرق والغرب	٢٠ بيتـا

ويستبين لنا من هذا الاحصاء ان عدد الابيات التي اشتملت عليها القصائد السبعـة والعشرون وهي التي احتواها الديوان ينحصر في ٤٢٨ اربعمائة وثمانيـة وعشرين بيتا،مما يحمل عن الصعب على الباحث والناقد ان يقتنع بأن الشاعر لم يبدع الا هذا المقدار .

وقد تفضلت اللجنة مشكورة فبعثت الي بالبريد نسخة من الديوان الذي اصدرته .

وأبادر أولاً فأسجل أصدق آيات شكري للجنة الموقرة لما بذلت من جهود وما كابدت من صعاب وما قضت من أزمنة باحثة منقبة عن شعر الشاعر ومنقحة مقومة للقصائد والأبيات .

وأبعث للصديق الاديب الباحث الاستاذ عيسى الناعوري بشكر خاص لأنه تناول حياة الشاعر وجهاده ، وقدم قصيدته الشهيد مرتين الأولى في كتابه : الجديد في الأدب العربي للصف الأول الثانوي المطبوع سنة ١٩٥٠ والثانية في كتابه - بطولات عربية من فلسطين المطبوع ١٩٥٥ بالاشتراك مع الاستاذ ابراهيم القطان ولما تفضل بامدادي به من تراث أعلام الفكر الفلسطيني الذي نشر بعد النكبة .

وأتوجه بأعمق الشكر وأصدقه للشاعرة الموهوبة فدوى طوقان لما زودتني به من قصائد للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، وللشعراء كمال ناصر ومحمود الحوت وسعيد العيسى إلى جانب ما كتبته عن شقيقها ابراهيم قبل صدور ديوانه في سنة ١٩٥٥ وهو كتابها « أخي ابراهيم » الذي صدر في يافا سنة ١٩٤٦ .

وأعترف ان نشر ديوان عبد الرحيم، وإعادة طبع مؤلفات الاستاذ السكاكيني والنشاشيبي وغيرهما من أدباء فلسطين وشعرائها ، ونشر التراث الفلسطيني عمل وطني جليل يستحق من كل أديب الاجلال والتقدير . واعود لما تضمنته كلمة اللجنة الموقرة حول كم شعر الشاعر وكيفه، وبتعبير أدق حول عدد قصائد الشاعر وقيمتها الفنية ، والمنهج الذي سارت عليه اللجنة لاثبات ما نشرته من شعر عبد الرحيم على اعتبار انه اجود ما نظم ، واقوى ما أبدع .

اعود لأستخلص منها الحقائق التالية :

الحقيقة الاولى : أن لدى اللجنة طائفة من قصائد الشاعر لم تنشر في الديوان ، وان ما نشر منه لا يمثل الا قدراً يسيراً من شعر الشاعر .

الثانية : أن وقوع عدة نسخ من القصيدة بين يدي أعضاء اللجنة ، واختلافها في عدد الأبيات ، وترتيبها ، وتكوين عباراتها جعل اللجنة توازن وتقارن لتختار ما ترى انه اقرب الى الصحة والصواب .

الثالثة : ان اللجنة – وهي تختار أجود القصائد – رأت ان تنشر بعضها ناقصاً بعد أن حذفت او استبعدت منها ما وجدت فيه ضعفاً في الصياغة والتركيب ، ولعلها قد غيرت في بعض الالفاظ والعبارات بعد أن اختارت من بعض القصائد أبياتا محددة واهملت الباقي .

وأقف هنا لحظة أتساءل فيها حول القضايا التالية :

١– لماذا لم توضح اللجنة للقراء الاسباب التي دعتها لتفضيل ما اختارت من نسخ القصيدة الواحدة التي اختلف فيها عدد الابيات وترتيبها وبعض الجمل والعبارات ؟ ليشارك القراء اللجنة فيما ارتأت . ؟

٢ – لماذا لم تر اللجنة من الصواب ان تجمع في الديوان كل قصائد الشاعر ولا حتى القسم الأكبر منها ؟ ولماذا لم تر أن تنشر كل قصيدة بأكملها ؟ وهل ينهض تسويغها ترك ما وجدته ضعيفاً عذراً في عدم نشره ؟

كنت أتمنى مخلصاً أن تنشر اللجنة كل ما وصل اليها من شعر الشاعر –دون نظر الى مستوى الشعر – تاركة للنقاد الحكم على قيمة شعر الشاعر ، ومتيحة لهم ملاحظة مراحل نموه، وتطور شعره، واكتمال موهبته ولكل شاعر في الدنيا مراحل تطور فيها شعره ، وانتقل من طور الى آخر .

وفي ديوان أبي الطيب المتنبي قصائد سجل فيها أنه قالها في صباه، ولا جدال في أن ما قاله المتنبي في صباه لا يرتفع الى مستوى ما قاله بعد أن تقدمت به السن، وبعد نضج موهبته، وتمرسه بالدهر وأهله وما يقال عن المتنبي يقال عن كل شاعر .

– ولسنا وحدنا الذين تساءلنا عما إذا كان من حق اللجنة التي اختارت قصائد الديوان أن تثبت ما استجادت ، وتستبعد ما استضعفت في المعنى أو الصياغة . فقد تساءل صديقنا العالم الأديب الباحث الدكتور ناصر الدين الأسد وهو يترجم للشاعر عبد الرحيم محمود عما تساءلنا عنه وقال ما نصه :

« ولا شك ان للجنة هدفاً توخته فوفت به ولكننا مع ذلك لا نملك أنفسنا من التساؤل : هل من حق من يتصدى لجمع ديوان شاعر أن يحكم ذوقه ورأيه في شعره

فيحذف منه ما يستضعفه ، ويثبت منه ما يراه جديراً بالاثبات ؟ ثم ما هي المقاييس النقدية التي وزن بهـا أعضاء اللجنة هـذا الشعر ؟ وعلى أي أساس حكموا على بعضه بأنه ضعيف الصيـاغة أو المعنى سواء أكان ذلك الضعف في قصيدة كاملة أو في أجزاء أو أبيات من القصيدة ؟ » .

وتسـاؤل الدكتور حق ، وفي موضعه من المنهج العلمي ، ووقفته وقفة النـاقد المتفحص ، والدارس المخلص، لمنهجه . وهي جديرة منـا أولاً بالتسجيل ، وثانيا بالتنويه .

وقد تنـاول الدكتور ناصر الدين الأسد – وهو يترجم للشاعر – حياته ودراسته وديوانه وشاعريته ، وقدم مقتطفات من شعره.وأورد نص كلمة اللجنة التي قدمت بها الديوان كما أوردناها نحن بنصها .

وفي مجال تقويم شعر الشاعر قـــال الدكتور :
ونستطيع - ونحن هنا في مجال الدراسة العابرة لشعره لا في مجال جمعه واستقصائه - ان نبدي فيـه رأياً عرض لنا من دراستنا لهذه المجموعة ، ولبضع قصائد أخرى عثرنا عليها أن موهبة عبد الرحيم الشعرية موهبة واضحة تطالعك في كثير من شعره . ويمضي قائلاً :
ومع ذلك فقد كان يكتمل له أحيانا قليلة الجو الفني ، والأداء النفسي فيحلق إلى ذروة الشعر، وأوضح مثل على ذلك قصيدته «الشهيد» . ويسوق أبياتها كاملة في تسعة عشر بيتاً يقدم بعدها من مقتطفات شعره أبياتاً من قصائده :
١- رثاء جمال، ٢- جحر في كثبان رمل، ٣- بين الشرق والغرب . وقد استقاها من الديوان الذي نشرته اللجنة (١)

١ - الدكتور ناصر الدين الاسد - الشعر الحديث في فلسطين

٣ ـ كنت اود ان تشير اللجنـة الى المصادر التي استقت منها الشعر وخاصة الصحف والمجلات واذا تعذر تحديد اليوم والشهر فلا أقل من تحديد السنة. واذا كان من الجائز ان يحفظ بعض الناس بعض القصائد فليس من المقبول أن يؤخذ كل الشعر الذي نظمه الشاعـــر من أفواه الرواة والحفاظ والادنى الى الحقيقـة ان هناك صحفاً ومجلات قد نشرت كثيراً من القصائد واحتفظ الاصدقاء بجزازت منها .

***

وأرى ـ قبل أن أنهي دراسة هذا الجانب ـ أن أكرر ما سبق أن قررته من انه ليس مما يقبله الفكر ويطمئن اليه العقل ان ينحصر شعر الشـــاعر في هذا

= والأردن مطبوعات معهد الدراسات العربية ـ القاهرة سنة ١٩٦٠ من ص ١٧١ ـ ١٧٧

العدد اليسير من القصائد التي نشرت في الديوان في غضون الفترة الواقعة بين عـــامي ١٩٣٥ و ١٩٤٨ هذا اذا جزمنا بأن عام ١٩٣٥ كان بداية نظم الشاعر . كما بدا في تحديد تاريخ قصيدتيه نجم السعود ووعد بلفور وان كنا نرجح أن الشاعر قد نظم شعراً قبل ذلك .

ولا يسعنا – في هذا البحث – الا أن نتوجه بندائنا الى كل الباحثين والدارسين والمهتمين بشعر عبد الرحيم بخاصة ، والشعر الفلسطيني بعامة ، بالبحث والتنقيب عن شعر الشاعر ومصادره المختلفـة وموافاتنـــا به لإصدار ديوانه في صورة تليق بمكانة الشاعر وجهـادة وبطولته .

ومن هذه المصادر :

(أ) صحف فلسطين التي كانت تصدر في البلاد من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٤٨ .

(ب) المجلات الادبية التي كانت تصدر في القدس وبيروت ودمشق وبغداد . وبخاصة الاماني البيروتية . أما المجلات الصادرة في القاهرة فقد رجعنا اليها ونقلنا منها ما نشرته للشاعر .

(جـ) شعراء فلسطين الذين عاشوا معه ، وتوطدت بينه وبينهم صلات الود والاخاء .

(د) أفراد أسرته وأصدقاؤه المخلصون الذين يحتفظون بطائفة من قصائده .

(هـ) طلابه في مدرسة النجاح الوطنية الذين تلقوا عليه الادب والوطنية .

ونحن في هذه الدراسة الأولى من نوعها للشاعر وشعره سنحاول أن نحقق الاهداف التالية :

أولا : سنثبت جميع أبيات كل قصيدة من القصائد التي أورد الديوان بعض أبياتها ، وسنشير الى ذلك في

القصائد الكاملة التي عثرنا عليها ووجدنا عدد أبياتها يزيد عما نشر في الديوان .

ثانيا : سنضيف الى قصائد الديوان – الذي نشرته اللجنة – القصائد الجديدة التي عثرنا عليها . وسنشير الى المصدر الذي استقيناها منه .

ثالثا : سنشير – في حدود ما وصلنا اليه – الى مصدر كل قصيدة من القصائد بوجه عام .

رابعاً : سنقسم الشعر الذي ندرسه الى اغراض وسنضع تحت كل غرض او موضوع ما قيل فيه .

وقد رأينا ان نقسم شعر الشاعر الى الموضوعات الآتية :

الشعر الوطني – الشعر الاجتماعي والانساني – الشعر التأملي – الشعر الوجداني الذاتي .

وكما قررنا من قبل لا نستطيع ان نزعم أننا في هذه الدراسة قد توصلنا الى كل ما نظم الشاعر من شعر ولا الى معظم ما أبدعت شاعريته ، ولكننا نرجو مخلصين ان تفتح هذه الدراسة الافاق أمام الباحثين والدارسين والمهتمين بالشاعر لمزيد من الدراسات والابحاث .

ونتوجه برجائنا الى كل من عنده شعر له أن يوافينا به ، ومن يعرف مصدراً من مصادره أن يدلنا عليه ، ومن يحتفظ بقصيدة أو قصائد محفوظة أو منشورة ان يتفضل بارسالها لنا ليتسنى لنا أن ننشر ديوان الشاعر كاملا متفقاً مع ما قدم لأمته وبلاده من أجل التضحيات .

أضواء على شعر الشاعر ومكانته
في الشعر الفلسطيني المعاصر

من خلال ما استطعنا ان نعثر عليه من قصائد قليلة للشاعر قبل ان تتكرم اللجنة بنشر ديوانه سنة ١٩٥٨ ومما تضمنه الديوان الذي نشرته اللجنة ، ومما اتيح لنا ان نطلع عليـــه من شعره في بعض المصادر . من كل أولئك نستطيع أن نلقي قليـلا من أشعة النقـــد على شعره،ونحاول أن نحدد مكانته بين شعراء فلسطين

الذين نعدهم الاعلام البـــارزين في عصر نهضة الادب الفلسطيني في الفترة الواقعـة بين ١٩٢٦، ١٩٤٧ وهي فترة ما قبل الكارثة .

وهؤلاء الشعراء هم ابراهيم طوقـان – ابو سلمى – عبدالرحيم محمود. وهم الشعراء الذين مهدوا لثورة سنة ١٩٣٦ على أن ما نلقيه من اضواء على نتاج الشاعر وما نحاوله من تحديد مكانته ومنزلة شعره سيظل قـــابلا للمناقشة حتى يصدر ديوانه الكامل الذي يجمع كل نتاجه الشعري. ذلك ان الحكم على الشاعر تابع أولا من دراسة كل شعره والاطلاع على كل ما أبدع ليكون اقرب الى الصحة وهذا ما لم يتح لنا حتى الان . وان كنا نرجو ان يتاح لنا في المستقبل .

***

ابدع عبد الرحيم القصيد في الموضوعات المختلفة الوطنية والسياسية والقومية والاجتماعية والانسانية والتأملية والوجدانية ونريد بالوجدانية تجارب الشاعر الخاصة ، وأحاسيسه الذاتية ، وبالتأملية تجاربه في الحياة وتمرسه بأهلها أو نظرته العميقة للحياة والناس.

ان الشاعر قد عبر بشعره عن خطرات نفسه وهمسات روحه وخلجات قلبه كما عبر عن آلام بلاده وآمال امته . وكان شعره تعبيراً عن وجدان أبناء فلسطين والامة العربية التي هو أحد أبنائها تنبثق عواطفه من عواطفها وتتفاعل أحاسيسه مع أحاسيسها فيصور آلامها وآمالها من خلال ذاته ويغدو حينئذ اللسان الصادق لبني وطنه، والترجمان الأمين لما يضطرم في صدور أمته .

ولقد كانت عاطفة حبه لوطنه هي العاطفة السائدة

وقد جسدها عملياً بنضاله الذي انتهى الى استشهاده . ونلاحظ ذلك في كثرة عدد قصائده في الموضوعات الوطنية بالنسبة للموضوعات الأخرى وارتفاع مستواها الفني حتى لنستطيع ان نقول إن الشاعر تفوق على نفسه في شعره الوطني . وتقف قصائده الشهيد ، ودعوة الى الجهاد، والحنين الى الوطن، في الذروة من درجات ابداعه وهي درر متألقة في ديوانه .

يقول الاستاذ رجاء النقاش في كتابه محمود درويش شاعر الأرض المحتلة :

١) « ومهما كانت نتائج ثورة ١٩٣٦ في فلسطين فانها في الحقيقة كانت ثورة عنيفة وشاملة بل انها كانت اكبر مما قدرته لها كل القيادات السياسية في ذلك الحين واستطاعت هذة الثورة أن تخلق جيلا من عرب فلسطين له نظرة خاصة للقضية الفلسطينية وهي نظرة

عنيفة غاضبة مناضلة استطاعت ان تدرك بعد تجارب عديدة انه لا حــــل لهذه القضية الا بالقوة المسلحة ولذلك فانها لم تعد تؤمن الا بالمقاومة ضــــد اليهود والانجليز معاً » ..

٢) « ولقد كان الجيل الذي مهد لثورة ١٩٣٦ ثم قادها بعد ذلك يشعر بان هناك أملا كبيراً في النصر لو ارتفع صوت المقاومة فوق كل صوت ومن هنا فاننا نستطيع ان نسمي جيل عام١٩٣٦ باسم جيل المقاومة فلقد حارب المخلصون من أبناء هذا الجيل حرباً شاملة على جميع الجبهات فحاربوا بالكلمة والسلاح والتنظيمات السرية والعلنية على السواء » .

ومن الظواهر التي تلفت النظر في هذا الجيــل أن المثقفين لعبوا دوراً كبيراً في قيادته وتوجيهــه ولعــل أصدق نموذج نضالي يقدمه هذا الجيل هو نموذج الشيخ عز الدين القسام » .

٣) « ولن نستطيع ان نفهم الشعـراء الذين ينتسبون الى جيل عام ١٩٣٦ ويعبرون عنه دون أن نقف أمام شخصية القسام وقفة متأنية باعتبارها نموذجاً مثاليـاً يكشف حقيقة الوجدان الفلسطيني في تلك الفترة وهو وجدان المقاومة والاستشهاد والغضب واشعال النار في صفوف الاعداء .

ولم يكن القسام مجرد حـالة فردية بل كان صورة أمينة لحقيقة العواطف الشعبية في حرارتها والتهابها. »

٤) « يقول الاستاذ ناجي علوش في كتابه القيم — عن « المقاومة العربيـة في فلسطين » (كان عز الدين القسام رجل دين وقوراً وخطيباً ملك أعنـة الكلام وتوفر على علم واسع وقد وضع علمه ومركزه الديني في خدمة المقاومة العربية) وهذا النموذج الحي للوجدان الفلسطيني في تلك الفـترة هو الذي عبر عنـه شعراء فلسطين من أبناء جيل عام ١٩٣٦ » .

٥) « وهناك عدة ظواهر فنية وانسانية مشتركة عند كل هؤلاء الشعراء فهم أولاً شعراء مناضلون أي ان العمل السياسي الثوري كان بالنسبة لهم غذاء يومياً بل ان شعرهم نفسه لم يكن الا أداة من أدوات هذا العمل السياسي الثوري . وقد تعرض هؤلاء الشعراء للاضطهاد العنيف ومات بعضهم في ميدان النضال شهداء كما مات القسام فقد كانوا من نفس النسيج الذي تكونت منه شخصية القسام وكانوا جميعاً في النهاية تعبيراً عن الوجدان الشعبي المقاتل وتجسيداً له في تلك الفترة » .

٦) «وهؤلاء الشعراء ثانياً جعلوا من شعرهم تسجيلاً للمواقف الثورية المختلفة في فلسطين ، وجعلوا منه اعتراضاً واحتجاجاً على المواقف المترددة ، ويمكننا أن نستخرج كثيراً من الأحداث التاريخية الواقعية الخاصة بالثورة في فلسطين من دواوين هؤلاء الشعراء » .

٧) « وهم ثالثاً كانوا يستخدمون الشكل التقليدي للقصيدة العربية في التعبير عن مشاعرهم وتجـــاربهم فالتحدي الذي كان يواجه الشاعر العربي الفلسطيني من جانب الانجليز واليهود معاً هو التهديد بالقضـــاء على شخصيته كعربي . والقضاء على الشخصية العربيـــة لفلسطين نفسها . ومن هنا فلقد كان من الطبيعي ان يتمسك الشـاعر بتراثه وتقاليده الثقافية والادبيـــة العربية وذلك كجزء من تمسكه بشخصيته الأصيلة التي تواجه التحدي وتتعرض للعاصفة » .

٨) وينقل الاستاذ رجاء عنا قولنا في صفحة ٢٩٨ من كتابنا الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين :

(لا يوجد بين الفلسطينيين الذين تعلموا في مدارس فلسطين بعــد ثورة سنة ١٩٣٦ من لا يحفظ لابراهيم طوقان قصيدتيه الفدائي والشهيد ولعبد الرحيم محمود

قصدتيه الشهيد والشعب الباسل، ولأبي سلمى داليتـه التي ثار فيها على ملوك العرب .

٩)« ويمضي الاستاذ النقاش قائلا : حقاً لقد كانت تلك القصائد منشورات ثورية عـامة موجهة الى جميع المواطنين لا الى المثقفين والمشتغلين بالادب فقط ومن هنا فرضت تلك الوظيفة الاجتماعية الثـــورية للشعر شروطها الفنية على شعراء تلك المرحلة » .

١٠) وهذه الشروط هي التعبير المباشر الصريح ، والشكل التقليدي ذو القافية المتنوعة أحيانا ولكن في الاطار التقليدي ، والنزعة الخطابية الصريحة التي تدعو الجماهير الى موقف محدد.كل ذلك لانه شعر يولد وسط ضجيج المعركة.شعر يولد في المظاهرات والاصطدامات المسلحة بين أصوات الرصاص وانهار الدماء) (١) .

---

(١) رجاء النقاش،محمود درويش شاعر الارض المحتلة – العدد ٢٢ من كتاب الهلال يوليو ١٩٦٩ – من صفحة ٦٤ – ٧٥ وقد نقلنا ما كتبه بالنص .

والاستاذ رجاء في كلماته يصور واقـــع فلسطين تصويراً حقيقياً ويسجل الحقائق التالية تسجيلا أميناً وصادقاً .

١ – تسمية جيل عام ١٩٣٦ باسم جيل المقاومة اذ حارب المخلصون من أبنائه حربـــا شاملة في جميع الجبهات بالكلمة والسلاح والتنظيمات السرية والعلنية .

٢ – قيام المثقفين من أبناء هذا الجيل بأهم دور في قيادته وتوجيهه .

٣ – ان اصدق نموذج نضالي قدمه ذلك الجيل هو الشيخ عز الدين القسام .

٤ – ان فهمنا للشعراء الذين ينتسبون الى جيل عام ١٩٣٦ – ويعبرون عنه متوقف على فهمنا لثورة الشيخ القسام ونضاله .

هذا في مجال رصد الاحداث التـاريخية وتسجيل

الحقائق السياسية . وفي مجال النقد الادبي كان الاستاذ رجاء النقاش موفقاً اذ فطن الى الظواهر الفنية والانسانية المشتركة عند كل شعراء جيل عام ١٩٣٦ التي حددها في أنهم مناضلون أولاً ، وأنهم جعلوا من شعرهم تسجيلاً للمواقف الثورية المختلفة في فلسطين ثانياً وانهم استخدموا الشكل التقليدي للقصيدة العربية ثالثاً .

ونحن نتفق معه حول تحديد هذه الظواهر .. ولقد شهد هؤلاء الاعلام الثلاثة طوقان وعبد الرحيم وابو سلمى نضال فلسطين منذ سنة ١٩٣٣ – وثورة القسام سنة ١٩٣٥ والثورة الكبرى من ١٩٣٦ – ١٩٣٩ وأسهموا فيها بشعرهم الحماسي الثائر ، وقصيدهم المتأجج وزاد عبد الرحيم أنه أسهم فيها بنضاله وجهاده المسلح الى جانب شعره الثوري . وقد ألهمتهم الثورة العديد من قصائدهم الوطنية وقد ألحنا في الصفحات

السابقة الى تأثر عبد الرحيم بالشيخ القسام وسقنا شاهداً من شعره[1] .

ونعود الآن الى عبد الرحيم لنقرر أن شعره الوطني كان تعبيراً صادقاً عن شعوره تجاه وطنه فلسطين وأنه ضرب المثل بنفسه فحمل روحه على يده كما قال ، وألقى بها في مهاوي الردى وعاش حياة حرة كريمة تسر الصديق وتغيظ العدو وثار على المتقاعسين عن الجهاد ، وأصلاهم ناراً حامية من شعره .

أتقعد والحمى يرجوك عونا
وتَجبنُ عن مُصاوَلة الأعادي ؟
فدونكَ خِدر أمك فاقتحمْهُ
وحسبُك خِسّةً هذا التهادي

***

---

(١) ص ٢٠

وحين توافد أبناء فلسطين على فرق الجهاد وانتظموا في كتائبه المسلحة وخاضوا المعارك ضد القوات البريطانية ، وسطروا في جهادهم آيات البطولة ومعاني التضحية والبذل أحس الشاعر بعاطفة الاعجاب ببطولة شعبه وشجاعة قومه فافتخر بشعب فلسطين الباسل حتى جعله العجب العجاب لانه لفت أنظار شعوب العالم واطلعها على كل ما يذهل ويروع .

***

مثل حدا حادي الزمان به
وتناقلتْ الرّكابْ
إن تجهلْ العَجَبَ العُجاب
فإننا العجبُ العُجاب
نحن الألى هابَ الوجودُ
وليس فينا من يهابْ

وسل الذي خَضَع الهواءُ
له وذلّ له العُبابْ
هل لان عود قناتنا
أم هل نبت عند الضراب ؟

* * *

وعجيب أن يتنبأ الشاعر بالكارثة قبل حدوثها بثلاثة عشر عاما فتصدق نبوءته حين يخاطب الملك سعود في قصيدته نجم السعود سنة ١٩٣٥ قائلا .

المسجدُ الأقصى أجئت تزوره
أم جئتَ من قبل الضّياع تُوَدّعُه ؟

ان روح الشاعر قد شفت فكأن الحجب المسدلة قد انكشفت له وتراءت أمام ناظريه فلسطين وقد اغتصبتها العصابات الصهيونية ، وشردت أبناءها تحت

كل كوكب واستولت على مقدساتها ، ومن بين هذه المقدسات المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله .

ولم يقف الشاعر في شعره الوطني عند فلسطين وما قاسته من مؤامرات الصهيونية والانتداب وما تجرعته من غصص السياسة التي لجأت الى الخداع والختل وتمزيق وحدة الفلسطينيين وتفريق كلمتهم ، ولكنه مد بصره الى الأمة العربية جمعاء في الوطن العربي الكبير ، فنعى في قصيدته « عيد الجامعة العربية » على العرب بدامة سياسة القول الذي لا يؤيده الفعل . والتراشق بالأقوال والاهتمام بالحفلات والخطب والسلام والوداع .

أو َليس لنا من دور لنا نلهى به

إلا وداع حافل وسلام ؟

ونعى على أمته التنابذ والتفرق ، والانقسام في

الرأي والصف والهدف على الرغم من الخطوب المحدقة بها والخطوب تجمع ما تفرق وتلملم ما تمزق .

إنا بأيدينـا جرحنا قلبنـا
وبنا الينـا جـاءت الآلامُ
فينا عن الحب المجمّع جفوةٌ
ولنا بصحراء الخِصام هُيـام
والخَطـب فرّقنا قبائل جمّة
والخطب عند عداتنـا لمَّامُ

ومما نسجله بالاعجـاب والتقدير للشاعر اعتزازه بعروبته وافتخاره بانـتمائه إلى أمته واعتزازه بلغته وصيـانتها والمحافظة عليهـا فالأمة التي تفرط في حق لغتها تهدم مجدها ، وتحطم عزتها .

وثورته العـارمة على الذين يقلدون الغربيين تقليداً

أعمى فيما يضر ويؤذي ويتنكرون لعروبتهم ودينهم وأمتهم . وتاريخهم ولغتهم .

يترسّمون الغرب حتى يوشكوا
أن يَعْبدوه عِبادَةَ الأصْنامِ

***

لَهْفي على الفُصْحَى رَماها معشَرٌ
من أهلهـا شلَّت يمينُ الرّامي
لم يهْتدوا لكنوزها فإذا بهمْ
يَرْمونهـا بالفقْر والإعْـدام
إن تسألوا عني الى مَن أنتمي
فإلى رُعاة النُّوق والأغنامِ
أبغير مجْد بني نزار ويَعْرُبِ
يُزْهى عِراقيٌّ ويفخَر شامي ؟

ونلحظ العاطفة الدينية تتأجج في العديــد من قصائد الشاعر الوطنية والاجتماعية والانسانية حيث يستلهم مبادىء الاسلام ويستوحي فضائله التي ترتفع بالناس الى أعلى الدرجات وتجعل حياتهم كريمة ينعمون فيها بالاخاء والحق والعدل والمحبة والمودة .

يقول في قصيدته (عيد الجامعة العربية) السابقة :

فيقول حقاً ليس يَخْشى لوْمَةً
والحقُ أرْوَعُ ما حَوى الإسلامُ

ويقول في بَغْيِ فريق من النـاس على آخرين في تقسيم الأرزاق :

بَغى في قِسْمه الأرزاق ناسٌ
وقـالوا هكذا قَسْم الإلهُ
لقد وصفوا الإله بشَرّ ظُلمٍ
بما كذبوا : تنزّه في عُلاهُ

ويقول في قصيدته – «في حالة غضب» :

متى أرى الحـــقَّ وأصْحَابَه
يَعْلون من أدْنى إلى شَاهِق ؟

وفي الجانب الاجتماعي نجد الشاعر يحيي طبقة العمال ويضفي عليهم هـــالة من التقدير والاجلال . لأنهم يتحدثون بلغة الافعال – ويكدحون ويأكلون خبزهم بالعرق والجهـــد والتعب ، ويقضون حياتهم إما في الحقول ، وإما في المصانع ، وإمـــا في مرافق الحيـــاة المختلفة ومجالاتها المتعددة ويعد نفسه واحـــداً منهم يتحدث باسمهم ويفخر بجهادهم .

نحنُ المصـــادِرُ والموارِدْ
وسلاحُنــا فتلَ السَّواعدْ
هاماتُنا – للمجد يرسو
حين نبدعُهُ – قوَاعدْ

وقلوبنا نبع المكارم ليس ينضبُ والمحامِدُ
ان اسمنا العمال لا نلهو بلغو عن مقاصِدْ
لسنا كمن يهذي على الأعواد بالخطب الرواعد ...

ومن أجمل قصائده الانسانية رثاء حمال وجده ميتاً في مدينة حيفا وبجانبه سله وحبله على قارعة الطريق والناس يمرون به فلا يهتمون .

وفي هذه القصيدة الجيدة يمجد الشاعر في الحمال كفاحه من أجل لقمة الخبز، ونقاء ضميره وقلبه، وشرف حياته ، وينعي على الناس إعراضهم عنه على الرغم من جلال الموت ، لأنهم لا يرجون نفعه ولا يخشون بأسه والناس مذ خلقوا ذوو قسوة وجبروت .

وقد وقف الشاعر عند ثوب الحمال الرث ، وجسده الملقى على الأرض ، وصمته المعبر، ورغيفه المغمس بعرقه الزكي، وتمنى فراق الحياة والأحياء لأن منظر هذا الحمال

قـد زهده في العيش وسط مجتمع خلت قلوب أهله من الرحمة :

فراقُ هـــذا الناس عيدٌ فلا
تَجْزعْ وذي الراحةُ بعدالذُّنوب
زهَّدَتني بالعَيش في مَعشرٍ
عارٍ عن الرحمة خاوٍ جَديب

ومن لفتاته الانسانية الكريمة قصيدتـه العيد الذي يتمثل لديه في رقة الاحساس بالوجود وفيض الأحاسيس الشاعرة وتحقيق الأماني والتحرر من العبودية وهذا مـا ينضر وجه الحياة ويجمل منظرها .

وفي دعوته الى التبسم في رسالة الى صديق عابس اذ يحبب اليه الحياة ويطلب اليه أن يعانق شوقها ويؤكـد له أن العبوس لا يدني قاصياً ، ولا يعيد ماضياً في حين أن البسمة تجمل الحياة وتخفف من الآلام والأهوال إن

لم تقض عليها .

وفي شعره التأملي يسخر ممن يظلمون الناس ويزعمون لهم أن هذه قسمة الله لهم ، وقضاؤه النافـذ فيهم . كما يزعمون أن الله اذا أحب عبداً من عباده قتر عليـه في الرزق ، وضيق عليه مسارب العيش ، وأخـــذ يصلي هؤلاء جمراً من شعره ولاذع تهكمه ، مؤكداً لهم عـدالة السماء ، وتنزه الإله من علاه عما وصفوه به من ظلم :

بغى في قسمة الأرزاق ناس
وقـالوا هكـذا قسم الإله
وقالوا إن أحب الله عبداً
برزقتـه المقـدرة ابتلاه
لقد وصفوا الإله بشر ظلم
بما كذبوا : تنزه في عـلاه

وفي دعوته للعدل بين الناس ونشر المحبة والإخـاء

ليرفرف على الجميع علم الاخوة، وليذبض كل قلب بالمحبة ويفيض بالشر ما دام العدل قائماً والانصاف متحققاً لا يبغي غني على فقير ولا يعتدي قوي على ضعيف ، ولا يغصب انسان حقوق انسان .

أتينـــا للحياة فلي نصيب
كما لك أنت في الدنيا نصيب
فلمْ تَعْدو وتغصب حقوقي
وتطلب أن يسالمك الغصيب ؟
أعدلك قال أن أسعى وتجني
وأطلب المعاش فلا أصيب ؟
فانصفني ولا تجحف فـــإني
أخوك اذا دها الخطب العصيب

***

أما شعره الوجداني فكان استجابة لأحلام قلبـــه

وتصويراً لمشاعره وتعبيراً عن ذاته وقـد كان الشاعر معتداً بنفسه ، ممتزاً بكرامته الى حـد أنه ثار على من تنكرت لعهده ، ولم تحفظ له الود .

وظهرت كبرياؤه في حبه فأعلن أنه سيسحق قلبه ، ويدوس عواطفه أمام من خانت وتنكرت :

نزعت من قلبي نباتَ الهوى
وتحتْ أقـدامي لقد دُسْتُهُ
إن عادَ قلبي للذي قد مضى
أتيتُ بالنـار وأشْعَلْتُه

***

وقد تأثر الشاعر في أسلوب قصائده بالاتجاه الاتباعي الذي يعتمد على تقليد الأقدمين في المحافظة على نظام القصيدة العربية ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة . ونجده في بعض الأحيان ينوع في القافية مع احتفاظه بوحدة الوزن .

ولم يكن الشاعر وحده هو الذي تأثر بهذا الاتجاه بل تأثر به معظم الشعراء في فلسطين أمثال ابراهيم طوقان وابو سلمى ومحمد العدناني وبرهان الدين العبوشي وحسن البحيري ومحمود الحوت والاتجاه الاتباعي هو الاتجاه السائد لدى معظم شعراء فلسطين وشعراء الشام بعامة حيث نجد قصائدهم مطبوعة بالطابع القديم سواء في المنحى الموضوعي او الاسلوبي فتراكيبهم فخمة واسلوبهم متزن، وموسيقاهم اتباعية وموضوعاتهم عقلية، وخيالهم حسي.

وقد وضحنا الاسباب التي دعت الى تأثر شعراء فلسطين بالاتجاه الاتباعي [1].

ونظم الشاعر على البحور الطويلة والقصيرة فنظم من الطويل والبسيط والخفيف والمتقارب والكامل تامة ومجزوءة ومشطورة.

---

(١) الدكتور كامل السوافيري – الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر صفحة ١٦٢ – ١٦٤.

والاتجاه الاتباعي يمني تأثر الشاعر في معانيه وصوره بالاقدمين ويمني ان صورة جزئية مبنيـــة على التشبيه والاستعارة والمجاز ومنتزعة من الصحراء ورمالها وحياة أهلها ومن مناظر الطبيعة السافرة فيها .

وبحسبنـــا ان نورد بعض الامثلة . يقول الشاعر من قصيدته « وعد بلفور » :

واذا السيوف كأنهن كواكب
تهوي تلامع في العجاج الاكدر

وصورة السيوف التي تشبه الكواكب التي تهوي وهي تلمع وتتلألأ وسط غبـار المعركة مستمدة من الحرب في الصحراء . وقد جلاها بشار بن برد في بيته المشهور :

كان ُمثارَ النـّقـْع فوق ُرؤوسِنا
وأسـيـافـنـَـا ليلٌ تهَاوَى كواكِـبُهُ

وقوله من قصيدته «نجم السعود» :

سهلا وطئت ولو نزلت بمحل
يوماً لأمرع من نزولك بلـَقعُه

مستمدة من السهل الموطأ ، والامحال والاخصاب والمؤطىء السهل والمكان الممحل والبلقع الممرع صور مستمدة من الحياة في الصحراء العربية التي كان يجودها الغيث أحياناً فتخصب وتمرع . ويضن عليها فتمحل ومثل ذلك قوله في قصيدته حنين إلى الوطن :

في ضياء الشمس في نور القمر
في النسيم العذب في ثغر الزّهر
في خرير الجدول الصافي وفي
صخب النهر وأمواج البحر

***

وموسيقاه عذبة النغم ، جميلة الوقع ، وقد أبدع

الشاعر في بعض قصائده في هذه الموسيقى كحسن التقسيم مع المقابلة الذي نجده في قوله :

فإمـــا حياة تسر الصديق
وإما ممـــات يغيظ العدى

وكالموسيقى الداخلية التي تتمثل في الابيـــات التي سقناها من قصيدته حنين الى الوطن وهـــذه الموسيقى ترفع من شأن الشعر . وتعلي من مكانته ، وتحقق له الغاية، من نظمه وهي التأثير . والموسيقى من عنـــاصر الشعر الاساسية التي اذا افتقدت فقد الشعر رونقه وبهـــاءه وفقد أهم عنصر من عناصره ونعني بالموسيقى الظـاهرة والخفية والملحوظة في الكلمات الموحية والالفاظ المشمة وهي موسيقى منتظمة اذ لم نجد اختـــلالاً في الوزن او اضطراباً في القافية. لقد حرص الشـــاعر على ان يجعل موسيقاه منتظمة بحيث يتساوى كل شطر من أبيـــات

قصائده مع الشطر الآخر في الحركات والسكنات . جرياً على نهج القصيدة العربية .

ولم ينظم الشاعر أي قصيدة من الشعر الحر المعتمد على التفعيلة . ولا نريد أن نوضح الاسباب التي أبعدت الشاعر عن النظم من هذا الشعر ولا أن نناقش ذلك لأنه لا يتصل ببحثنا عن حياة الشاعر وشعره .

***

وقد صاغ افكاره ومعانيه في لغة صحيحة وأسلوب مستقيم ووضوح وجلاء وحافظ على قواعد اللغة وضوابط الاعراب .

وقد اختار الشاعر في قصائده الوطنية الألفاظ والكلمات التي تثير النخوة وتوقد الحمية وفي وجدانياته اختار الالفاظ الرقيقة التي تلائم هذه المواقف فبينما نجده في قصيدة الشعب الباسل يستخدم كلمات دكدكت

المضاب – الزئير – النـار – الحديد – الحراب نجده يستخدم في قصيدته « حنين الى الوطن » يا منى قلبي ، الجدول الضافي، الظمأ– المغني– يغني الطير في أشجاره، يرقص أعطاف الشجر .

ويستخدم في قصيدته العاطفية « يا حياتي » كلمات: انظري لي ، اجعلي العطف يسل من نظراتك، اغمزيني، ابسمي لي ، المنى في بسماتك أجتلي سر الفتون .

لقد لاءم الشاعر بين الموضوعات الشعرية وبين الصورة التعبيرية او الصياغة التي تصور مشاعره وأحاسيسه بهذه الموضوعات ووفق في اختيار الجمل والعبـارات الملائمة للموضوع في الكثير من قصائده .

وتجاربه مستمدة من واقع فلسطين وجهادهـــا ضد الانتداب البريطاني وربيبته الصهيونية وما سطره أبناؤها من صفحات البطولة ، وما قدموه لها من دماء وأرواح.

وهي تجارب صادقة لأنهـا نابعة من احساس الشاعر الذاتي وقد عاش الشاعر واقع كل تجربة من هذه التجارب وينطبق هذا على شعره الوطني والقومي وشعره الاجتماعي والانساني وتعبيره عن تجاربه الوجدانية الذاتية ، فما قال إلا ما جاش في خاطره ومـا عبر إلا عمـا اضطرم بين جوانحه وما صور إلا ما ارتسم على صفحة قلبه .

ونخلص من كل ما سجلناه الى تقريظ ان عبد الرحيم شاعر، وانه شاعر موهوب ، غذى موهبته ، بما نهله من منابع الفصاحة العربية وبمـــا تدارسه من آيات القرآن الكريم، وبما تابعه من تيارات في الشعر، وتأثره بالاتجاه الاتباعي أو مدرسة المحافظين التي يتزعمها الشاعر البارودي والتي احتذاها شوقي وحافظ .

صادقة وكانت معنوية وقومية نبيلة شريفة مرتبطة بحب الوطن والأمة والعرب والعروبة ، والعدل والخير والجمال وأنه كان فيها اللسان المعبر عن أمته، والترجمان الصادق لأبناء وطنه .

وان اسلوبه في شعره كان يمثل روحه الثائر وقلبه الفائر الشجاع ، وانه سخر هذا الشعر لخدمة وطنه ولغته وامته .

ونقرر ايضاً أن هذا ليس نقداً للشاعر ، ولا تبيان لجوانب القوة ، ونواحي الضعف ، وانما هي أضواء القيناها على ما اتيح لنا الاطلاع عليه من شعره ، وحين نطلع على كل شعره يمكن ان يقول النقد فيه كلمته .

قصائد الشاعر مرتبة حسب التسلسل الزمني ومقسمة وموزعة حسب الموضوعات الشعرية

أولا : الشعر الوطني

١ ـ نجم السعود[1]

ألقاها الشاعر في قريته عنبتا بين يدي الأمير سعود ابن عبد العزيز (الملك سعود) في ١٩٣٥/٨/١٤ أثناء زيارته لفلسطين :

---

(١) الديوان صفحة ٤١ وقد نقلناها عنه بنصها وعدد أبياتها الثلاثة عشر بيتاً .

نجم السعود وفي جبينك مطامُه
أنى توجــه ركب عزك يتبعه
سهلاً وطئت ولو نزلت بمحمـلٍ
يوماً لأمرعَ من نزولك بَلـقَعُه
والقوم قومك يا أمير إذا النـّوى
فرقته آمــال العروبة تجمعُه
مالوا اليك وكل قلب حبّــة
يحْدو بــه شوقاً اليك ويدفعه

***

يا ذا الأميرِ أمام عينك شاعرٌ
ضمّت على الشكوى المريرة أضلعه
المسجـدُ الاقصى أحبتَ تزوره
ام جئت من قبل الضيّاع تودّعه ؟
حرم تبــاحُ لكل اوكع آبق
ولكل افـاق شريد — اربُعه

والطاعنون وبوركت نجنباته
ابناؤه الظيمْ بطعن يوجعه
وغداً ومـا ادناه لا يبقى سوى
دمع لنــا يهمي وسِنّ نقرعه
ويقرب الأمر العصيب أسافل
عجلوا علينا بالذي نتوقعه
قوم تضل لدى السداد حصاته
ويسيطر العادي عليه ويُخضعه
شكوى وتحلو المضيم شكاته
عند الامير وان ترقرق ادمعه
سر يا امير – ورافقتك عناية
نجم السعود وفي جبينك مطلعه

٢ ــ وعد بلفور

قيلت في نابلس سنة ١٩٣٥ (١)

العربُ ما خضعوا لسلطة قيصرِ
يومـــاً ولا هانوا أمـــام تجبر
لا يصبرون على أذى مهما يكن
والحرانُ بسَم الأذى لم يصبرِ

(١) المصدر السابق صفحة ٣٩ وقد أثبتها الدكتور عبد الرحمن ياغي في كتابه « حياة الأدب الفلسطيني » صفحة ٢٧٢ – ٢٧٣ .

والترك قـد كبروا وإنا معشرٌ
كبروا فوق تكـــبر المتكبِّـر
وإذا بـــه أمر نبيتـــه لهم
تحت الأسنـَّة والقنـــا والسـَّمهري

***

وأتى الحليفُ وقام في أعتابنـــا
متحيراً انـَّا هُـــدى المتحيّر
واستنصَر العرْبَ الكرام لإنهم
غوثُ الطـَّريد ونصرةُ المستنصر
وإذا عتاقُ العرب تورى في الدُّجى
قدحاً وتصهل تحت كل غضـَنفر
وإذا السيوف كأنهـن كواكبٌ
تهوى تلامعُ في العجــاج الأكدر
رجحتْ موازين الحليف ومن نكنْ
معـــه يرجـَّـح بالعظيم الأكثر

وبنت لنا أسيافُنا صرحاً فلم

يحفظ جميل العرب يا للمنكر

في ذمَّة الرحمن صرعى جدّلوا

وعلى ثرىً بدم الرجال مُعَصفرٍ

غدر الحليفُ وأيُّ وعد صانه

يوماً وأية ذِمة لم يخفر ؟

لما قضى وطراً بفضل سيوفنا

نسى اليَد البيضاءَ ولم يتذكَّر

وإذا الدمُ المهراق لا بمراقِه

جدوى ولا بنجيعه المتحَدّر

***

يا ذا الحليفُ سيوفُنا ورماحنا

لم تنثلمْ فاعلم ولم تتكَسَّر

بالأمس أبلتْ في عداك وفي غد

في كل قلب غادرٍ متحجِّر

تغلي الصدور وليس في غليانها

إلا نذيرُ العاصف المتفجّر

ولقد تصبّرنا عليك فلم نُطق

منك المزيدَ ولات حين تصبُّر

هذي البلاد عريننا وفدًى لها

من نسل يعرُب كل أسدٍ هُصَّر

٣ ــ الشهيد (١)

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مَهاوي الرّدى

(١) نظم الشاعر هــذه القصيدة ابان ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ – ١٩٣٩ التي اشترك فيها مع المجاهدين الأحرار ونشرها في مجلة الأمالي البيروتية . وقد تعددت المصادر التي نشرتها واتفقت على أبياتها البالغ عددها تسعة عشر . وهذه المصادر هي :

أ) محمد أحمد حماد – لباب الثقافة والأدب ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

ب) عيسى الناعوري – الجديد في الأدب العربي للصف الأول =

فإما حيــاةٌ تسرُّ الصديقَ
وإمـــا مماتٌ يغيظ العدى
ونفس الشريفِ لهــا غايتان
ورودُ المنـــايا ونيلُ المنى

* * *

وما العيشُ لا عشت إن لم أكن
فخوفَ الجنابِ حرامَ الحِمى
إذا قلت أصغى لي العالـَمون
ودوَّى مقــالي بين الورى
لعمرك إني أرى مصرعي
ولكن أغـذ اليـــه الخطى

= الثانوي ، ط ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
ـ) الديوان ص ١٣ .
د) الدكتور ناصر الدين الأسد، الشعرالحديث في فلسطين والأردن ص ١٧٤ .

أرى مقتلي دون حقّي السليب
ودون بلادي هـو المبتغى
يلذ لأذني سمـاعُ الصّليل
ويُهيج نفسي مسيل الدّمـا
وجسم تجدّل فوق الهضاب
تناوشهُ جارحـات الفلا
فمنه نصيبٌ لأسد السّماء
ومنه نصيب لأسد الشّرى
كسا دمُه الأرض بالأرْجوان
وأثقل بالعطر ريح الصّبا
وعفّر منـه بهيَّ الجبين
ولكن عفاراً يزيد البَهـا
وبان على شفتيـه ابتسامٌ
معانيـه هزء بهذي الدّنا

ونام ليحلم حُلم الخلود

ويهنأ فيه بأحلى الرؤى

لَعَمرك هذا ممات الرّجال

ومنْ رام موتاً شريفاً فذا

فكيف اصطباري لكيد الحقود

وكيف احتمالي لسوم الأذى

أخوفاً وعندي تهون الحياة

وذلاً وإني لرب الإبا

بقلبي سأرمي وجوه العداه

وقلبي حديد وناري لظى

وأحمي حياضي بحد الحسام

فيعلم قومي بأني الفتى

٤ ــ الشعب الباسل [1]

شعب تمرّس في الصِّعاب ولم تنلْ منه الصِّعـاب
لو همه انتـاب الهضاب لدكْدكَتْ منه الهضاب
متمرد لم يرض يومــاً أن يقر على عذاب

(١) لم يثبت الديوان في صفحة ١٦ من القصيدة إلا اثني عشر بيتاً وأثبتناها كاملة في تسعة عشر – ومصدرها مجلة الرسالة العدد ١٥٦ – ١٩٣٦/٨/٣١، انظر كتابنا الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

عمر نَدِينه بلــــغ السماء ورأسه نطح السَّحاب
وعُداتـــــه رغم الأنوف تذلَّلًا حانو الرِّقـــاب
مثلٌ حدا حادي الزَّمان بـــه وناقلت الرِّكاب
ان تجهل العجب العجاب فإننا العجب العجـــاب

***

نحن الألى هــاب الوجودُ وليس فينـــا من يَهاب
وسل الذي خضع الهواءُ له وذل له العُبـــاب
هل لان عود قناتنــــا أم هل نبت عند الضراب؟
أوشام عيباً غير إنــــا ليس نرضى أن نعـاب
حييت من شعب تخلَّد ليس يعروه ذهـــاب
لفت الورى منك الزَّئير مُزمَجراً من حول غاب
وأرى العِدا ما أذهل الدنيا وشاب له الغُـــراب
عرف الطريق لحقـّـــه ومشى له الجدّ الصّواب
الحقُّ ليس براجـــعٍ لذويه إلا بالحِـــراب

والصّرخة النكراءُ تُجدي   لا التلطّفُ والعتاب
والنار تضمن والحديد   لمن تساءَل أن يُجاب
حَكَّمهما فيما تريد   ففيهما فصل الخِطاب

***

٥ ـ الى كل متهاود [1]

يا من تواسه بالحبيب　　هناك قد رجع الحبيب
لقد انتظرت إيابه　　شوقاً فها هوذا يؤوب
في جيبه لُعب الهوى　　يلهو بها الصبُّ اللعوب

١) قيلت هذه القصيدة بعد أن توقفت ثورة سنة ١٩٣٦ وارسلت الحكومة البريطانية لجنة ملكية دعيت باسم لجنة اللورد بيل للتحقيق في اسباب الثورة.وكان مما اقترحته من المسكنات انشاء مجلس تشريعي وقد أذيع تقرير اللجنة في ٧ يوليو سنة ١٩٣٧ . وقد نشرها الديوان صفحة ٣٨ .

لك في حقيبته نصيبٌ فاخرٌ بئس النّصيب
فلننتظر غداً «الكراسي» ساكتاً وغـــداً قريب
يا شعبُ يا مسكين لم تُنكب بنكبتك الشعوب
قلّدت أمرك من بهم لا يرجع الحقُّ الغصيب
لهفي عليـك ألا ترى يا شعب حولك ما يريب

***

٦ ــ البطل الشهيد

قيلت في رثاء زميله القائد المجاهد عبدالرحيم الحاج محمد من قرية عنبتا وما كان أجدرها بأن تكون رثاء الشاعر نفسه [١] .

---

(١) هذا نص العبارة التي قدمت بها اللجنة القصيدة كما وردت في الديوان صفحة ١٢ وقد وضعناها بين قوسين معتقدين أنه كان هناك سهو من اللجنة حين نسبت المرثي الى قرية عنبتا مع أنـــه من قرية ذنابة التابعة الى قضاء طولكرم. وقد استشهد القائد عبدالرحيم الحاج محمد في قرية سانور في ٢٦ آذار سنة ١٩٣٩. وتذكر المصادر التي=

أإذا أنشدتُ يوفيك نشيدي
حقَّك الواجبَ يا خيرَ شهيد

أيُّ لفظ يَسع المعنى الذي
منك أستوحيه يا وحيَ قصيدي

لا يُحيط الشعر فيما فيك من
خُلقٍ زاكٍ ومن عزْمٍ شديد

كَملتْ فيك المروءات فلم
يَبْقَ منها زائدٌ للمُستزيد

***

** تناولته انه كان قائداً مظفراً تقياً مؤمناً بربه وانه ضم حوله نفراً من المثقفين كانوا له بمثابة المستشارين والأعوان المخلصين وكان الشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود واحداً منهم وقد اقتصر الديوان على أحد عشر بيتاً في صفحة ١٢ وأثبتناها كاملة في ٣٦ بيتاً من مصادرنا .

أيها القــائد لِمْ خَلّفْتنــا
واِمَنْ ولّيتَ تصْريف الجنود
أقْفَر الميدانُ من فُرسانــه
وخلا من أهله غــابُ الأسود
خمــدت نار لقـــد أضرمتها
لمدى كانوا لها بعض الوقود
والحمى قد ريع يا ذُخْر الحمى
وغدا بعدك منقوصَ الحـدود

***

لم أكن قبلك أدري ما الذي
يُرخص الدّمع ويودي بالكُبود
إنّ يوماً قــد رزئناك بـــه
جاعل أيامنـــا سوداً بسود
هلكت نفسُ الأودّاء أسىً
فيه وارتاحت له نفسُ اللَدود

كل بيت لك فيـه مـأتمٌ
يندبُ الناسُ به أغلى فقيـد
للمناجـاة صدًى مُرْتجـع
في بلاد العُرب سهلٍ ونُجود
برزتْ فيـها المصوتاتُ ضحى
صارخاتٍ قارعاتٍ للخـدود
وا حبيبَ الأمة قد يتّمتنـا
يا أبا كل فتـاةٍ ووليد
صَعّدوا من لَوْعة زَفْراتهم
فأذابتْ قاسي الصّخر الصلود
جَعلوا من كل صدر مسكنـا
لارتفاعٍ بك عن سُكنى اللّحود
كل قلب لك فيـه مُصحفٌ
فيه من ذكرك قرآن خُلود

سور قد فصّلت آياتها
لم تزل تتلى على الدهر الابيد

***

أيها القائد هذي ميتةٌ
طالما رجّيتها منذ بعيد
مصرع الأبطال ما بين الحديد
في الميادين ورفّات البُنود
هذه أعراسُهم صخّابة
نقرة الدف بها قصفُ الرُّعود
فيروون الثّرى من دَمهم
ويحنون به كفّ الصّيد
ويُزَفون عليهم حُلَلٌ
من نجيع الحرب تُزري بالبرود
هم تماويذ الحمى يُقصى بهم
عنه مكر السوء أو كيد الحسود

تحرق الماقيَ أنفاسُهم
ويذيبون بها غلَّ القيود
وعلى أكتافهم تُجنى المنى
ويشاد الصَّرح للعيش الحميد

***

يا شهيداً قد تخذنا قبساً
منه يهدينا الى النّهج السَّديد
مثلٌ أنت وما أن تُنتَسى
لا تني ترويك أفواهُ الوجود
مت في الحَرب شريفاً لم تُطق
ربقة الأسر ولا ذُلَّ العبيد
هكذا العارُ مريرٌ ورد
والرّدى للحر معسول الورود
وا حبيب الأمة قد أصبح
العيش من بعدك لي جِدّ نكيد

جمـــد الدّمع بعيني جزعـاً

يا لنار القلب من دمعي الجمود

فأذبت الرّوح أبكيك بهـــا

بدل الدّمع فسالتْ في نشيدي

* * *

٧ — حنين الى الوطن (١)

نظمها الشاعر وهو مشرد عن فلسطين في العراق :

تلك أوطـاني وهذا رَسْمُهـا
في سُوَيداء فُؤادي مُحتَفر
يتراءى لي على بَهْجتهـا
حيثما قلَّبت في الكون النَّظر

(١) الديوان صفحة ١٧ وعدد الأبيات سبعة عشر زدنا عليهما بيتين وهما السابع والثامن ولم يثبتها الديوان .

في ضِياء الشمس في نور القمر
في النّسيم العَذْب في ثغر الزهر
في خرير الجدول الصافي وفي
صَخَب النهر وأمواج البحر
في مَتون الدّمع من هول النّوى
في لهيب الشّوق في قلبي استعر
دقة الناقوس معنى لاسمها
واسمها مِلءُ تسابيح السّحر

***

فِكرة قد خالطتْ كلّ الفِكَر
صُورة قد مازَجتْ كل الصُّور
هي في دُنيايَ سر مِثلما
قد غدا اسم الله سِرّاً في السُّور
يا بلادي يا مُنى قلبي إن
تَسْلَمي لي أنت فالدُّنيا هدر

لا أرى الجنـة إن ادخلتهـا
وهي خلو منـــك إلا كسقر
مُنـيتي في غُربتي قـبل الردى
أن أملـتي من مجاليك البصر
ظـمئتْ نفسي لِمغناك فـهلْ
يُطـفىء الحرقةَ بالفؤاد القدَر ؟
فيُصلي القلـبُ في كـعبتـه
وتـضُم الرُوحُ قُدْسيَّ الحجر
وتمرين بيمنـــاكِ على
جسدٍ أضناه في البعد السهر
ويغـني الطـير في أشجـاره
نغماً يُرقِص أعطافَ الشجر
خبَـر تـنقـلُـه ريـح الصبـا
ويُذيع الزهْر أنسام الخبـر

ويُلاقي كل إلفٍ إلفَه
ويلمان الشتيتَ المنتشِر

* * *

يا بلادي أرشفيني قطرةً
كلُّ ماء غير ما فيك كدَر
ليت من ذاك الثرى لي حفنة
أتملّى من شذا التُّرب العطِر

* * *

٨ ـ دعوة الى الجهاد [1]

دعا الوطنُ الذبيحُ الى الجهادِ
فخفَّ لفرط فرحته فؤادي
وسابقتُ النسيم ولا افتخارٌ
أليس عليَّ أن أفدي بلادي ؟

(١) اثبت الديوان منها أحد عشر بيتاً في صفحة ٥١ وقد أوردها عارف العارف في عشرين بيتاً وها نحن أولاء نثبتها كاملة نقلاً عنه ، عارف العارف ـ النكبة الجزء ٣ ـ صفحة ٦٢٥ .

حملتُ على يدي روحي وقلبي
وما حمَّلتهـــا الا عتادي
وقلتُ لمن يخاف من المنايــــا
أتفـَرقُ من مُجابهة الاعادي ؟
أتقعدُ والحمى يرجوكَ عوْنـــاً
وتجْبنُ عن مصاولة الاعادي ؟
فدونكَ خِدْرُ أمك فاقْـتَحِمه
وحسبكَ خِسَّة هذا التَّهادي
فللأوطان أجنـــادٌ شِداد
يكيلون الدَّمار لأيّ عـادي
يلاقون الصّعاب ولا تشاكي
أشاوسُ في ميادين الجِـلاد
تراهم في الوَغى أُسْداً غِضاباً
مُعاوِيناً إذا نادى المُنـــادي
بني وطني دنا يومُ الضّحـايا
أغـَر على ربا أرض الميعـاد

فمن كَبشُ الفداء سوى شبابٍ
أبيّ لا يقيم على اضطهاد؟

ومن لِلحرب إن هاجَتْ لظاها
ومن إلاكُم قَدْحُ الزّنادِ ؟

فَسيروا للنّضال الحق ناراً
تُصَبُّ على العِدى في كلّ واد

فليس أحطَّ من شعبٍ قعيدٍ
عن الجُلّى ومَوْطنهُ يُنادي

***

بني وطني أفيقوا من رُقادٍ
فما بعد التّعَسُّف من رُقاد

قفوا في وجه أي كان صفّاً
حديداً لا يؤول الى انفراد

ولا تَجِموا إذا اربدّت سماءٌ
ولا تَهِنوا إذا ثارتْ بوادي

ولا تَقِفوا إذا الدنيا تصدت

لكم وتكاتفوا في كل نادي

إذا ضاعَتْ فلسطين وأنتمْ

على قيد الحياهِ ففي اعتقادي

بأن بني عُروبتنا استكانوا

وأخطأ سعيهم نهج الرشاد

★★★

٩ - عيد الجامعة العربية (١)

عِيدٌ بأحناء الصُّدور يُقام
من وَحْيهِ الأشعارُ والالهامْ
حُلُمٌ لقد لابتْ عليه نفوسُنا
أجْمل بأن تتحقَّق الأحلامْ
جمع الشَّتيتَ فكلُّ قُطْرٍ دُرَّةٌ
في تاجهِ والوَحْدَةُ النِّظَّام

(١) الديوان صفحة ٢٥ .

فإذا تشكّى النيلُ من آلامه
شكَت مرائرَ دجلةَ الآلام
واذا تنادى المغربُ الاقصى لدى
جُلّى استجابتْ للنداء الشّامُ
ذهبتْ خرافاتُ الحدود فكلّها
وطنٌ لنا لو صحّت الأفهام

***

حَفى اللسانُ وجفّت الأقلامُ
والحالُ حالٌ والكلام كلام
مرت بنا الأيام لم نسلك بها
جدَد الصواب ومرت الأعوام
والزورقُ التّوهان سار محيّرا
فوق الخِضَمُ دليلة الأوهام
وتخاصم القواد بين مُشَرّق
ومُغرّب وتقطعت أرحام

فإذا المنابرُ صاخبات حفل
يُرغى بها التهويشُ والابهام
واذا الضّلال له هناك سُرادق
مضروبة عبدت بها الاصنام
والحر وابن الحر ليس مطيّة
يُعطى ويكبح أصغريه لجام
فيقول حقاً ليس يخشى لومة
والحقُّ أروع ما حوى الاسلام

***

مرت بنا الايامُ بين تململ
بغدٍ فضاعت بالرُؤى الأحلام
ظلنا نقول غداً غداً هل حققت
للاثنين على غد أحلام
ظلنا نقول غداً يفيق ضميرُ من
فقد الضّمير ويعدلَ الظُّلام

ظَلَلْنا نقول حبائِبٌ ضَرَبَاتُهم
مقبولةٌ ما إن لها إيلام
ظلنا نُنَغَرِّرُ بالوعود ويَنْطلي
كَذِبٌ ويفعل فعلَةَ الايهام
خَرجوا لنا «بالسحب» من أقسامنا
يا ويلنا إن الهوى أقسام

***

بَلفور ما بلفور ماذا وَعْدُه
لو لم يكن أفعالَنا الابرامُ
إنَّا بأيدينا جَرحْنا قلبنا
وبنا إلينا جاءت الآلامُ ..
فينا عن الحب المجمّع جَفْوةٍ
ولنا بصحراء الخِصام هُيامُ
والخطب فَرّقنا قبائلَ جَمَّةً
والخَطْبِ عِند عُداتنا لمّام

يا قـادةَ إلا الذين أجِلِتُهُم
عمّا يُذَمُّ وقد عدام ذَامُ ..
نحن الضّحايا لا نُريد مثوبةً
وأقلُّهـا التّـعريفُ والإعلامُ
أوَ ليس من دَوْرٍ لنا نُلهى به
إلا وَداعٌ حـافل وسلامُ

***

قل لا واتبعها الفِعال ولا تَـخَفْ
وانظر هنالك كيف تُحنى الهامُ
إصْهر بنارك غُلَّ عُنقكَ يَنصهر
فعلى الجماجم تُرْكَزُ الأعلامُ
وأقم على الأشلاء صَرْحك إنما
مِنْ فوقهِ تُبنى العلا وتُقامُ

واغصبْ حقوقكَ قطُّ لاتستجدها
إن الألى سلبوا الحقوقَ لِئامُ
هذي طريقـُك لِلحياة فلا تحِدْ
قد سارها من قبلك القَسّامُ

***

١٠ ــ بين الشرق والغرب[١]

١ – قومي لأنتم عِبرة الأقوام

هَل تُنسَبونَ ليافِتٍ أو سامِ ؟

***

(١) الديوان صفحة ٤٤ . وساق الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه « الشعر الحديث في فلسطين والأردن » عشرة أبيات منها ص ١٧٧ .

أبناء عمي من نزار ويَعْرُب
ليسوا بأعرابٍ ولا أعجامِ
يَترسَّمون الغربَ حتى يوشِكوا
أن يعْبدوه عِبادَةَ الأصنام
ما قلَّدوهم مبصرين وإنما
تَسِموا نظامَهم بغير نِظام
للغرب عاداتٌ كفازاتٍ سرَتْ
في الشرق مسرى الدّاءِ بالأجسام
لا تأمنوا المستعمرين فكم لهُمْ
حربٌ تَقَنَّع وجهُها بسلام
حربٌ على لُغة البلادِ وأرضِها
ليست تُشنُّ بمدفع وحُسام
والشعب إن سلمتْ له أوطانه
ولِسانهُ لم يَخْشَ قطْعَ الهام

***

لا أعرف العربيَّ يلنوي فكَّـــه
إن همَّ يومـــاً فكَّه بكلامِ
إن فـــاه تسمع لكنةً ممقوتةً
من فيـــه سكسونية الانغـام
لفظـاً من الفصحى وآخـر نابيـا
كالغاز ممزوجـــاً بكأس مدام

* * *

لَهْفي على الفُصْحَى رَماها معشَرٌ
من أهلهـــا شُلَّت يمينُ الرَّامي
لم يهْتَـدوا لكنوزهـا فإذا بهم
يَرْمونهـــا بالفقـر والإعـــدام
الدرُّ في طيِّ البحـــور مخَبَّأٌ
والتِّبر إن تنشده تحتَ رغام
لن يستعيدَ العُربُ سالفَ مجدهمْ
ولسانُهم غـرَض لرمي سِهامي

ان يرفعوا ما انقضّ من بُنيانهم
فالضّادُ أول حائط ودَعام

* * *

ان يُزه شرقيٌّ بغير العُرب مِن
أجداده الأتراكِ والأروام....
فأنا الفخورُ بأنني لا يَنتمي
للعجم أخوالي ولا أعمامي
إن تسألوا عني الى مَن أنتمي
فإلى رُعاة النُّوق والأغنامِ
أبغير مجْد بني نزار ويَعرُبٍ
يُزْهى عِراقيٌّ ويفخَر شامي ؟

***

١١ ـ أيام النضال (١)

هذه الأبيات غير موجودة في الديوان الذي نشرته اللجنة. وقد عثرنا عليها في كتاب النكبة ، وها نحن أولاء ننقلها عن ذلك المصدر .

كثيراً ما عبر الشاعر عن ألمه لبعده عن ميـادين القتال ، ومن ذلك ما نقله ابن عمه عنه في هذا الصدد قال له ابن العم :

---

(١) عارف العارف ـ النكبة جـ ٣ ـ ص ٦٢٦ .

آه مـا أعـذب أيام النضالِ

وأحَيْلى الموتِ في نـَيل المعالي

لا تقلْ لي وأنا أغـشى الوَغى

حاذِرْ الرُّمية تسلمْ في النضال

رب ساعٍ لم يمتْ في سَعيـه

وقعيدٍ مات في غيرِ نضـال

ما جمالُ العيش إلا وقفــةٌ

في سبيل الحق والرأي المثالي

فأجابه الشاعر عبدالرحيم محمود بهذه الأبيات وهي من الوزن نفسه والقافية ذاتها :

كشّري ما شِئتِ يا سودَ الليالي

فأبو الطيب لا يخشى العوالي

ان تقاعَسْتُ عن الحرب فإني

مُجرمٌ يقعدُ عن شأو المعالي

غايتي ألقى المنـــايا عاجـِلا
في مجالي العـِلم أو ساح النضال
فابتسمي يا أم عبدٍ انـّه
زُفَّ للحور وولّى وهي عالي

***

١٢ ـ احملوني (١)

وهذان البيتان غير موجودين في الديوان وقد عثرنا عليهما أيضاً في كتاب عارف العارف وقد أخذ الشاعر يرددهما بعد إصابته وحمله على أكتاف أصدقائه .

إحملوني إحمِلوني   واحذَروا أن تتركوني
وخُذوني لا تخافوا   وإذا مِتُّ ادفنوني

(١) المصدر السابق ص ٦٢٤

« أبيات من قصيدة »

١٣ ـ امتي

نحن لم نحمل السيوف لهدرٍ
بل لإحقاق ضائع مهدور
نحن لم نرفع المشاعل للحرق
ولكن للهدى والتنوير
نحن لم نطحن الضمير ولكن
بقنانا احتمى طحين الضمير

كان فينا نصر الضعيف المُعنّى
والجبـــار المحطم المكســور

***

أمتي إن تجرؤ عليك الزعامات
فــلا تيأسي ذريهـــا وسيري
القديم الجميـل ريش جناحيك
فرفي في العـــالمين وطـــيري

ثانياً : الشعر الاجتماعي والانساني

١ ــ نحن المصادر والموارد (١)

قيلت على السنة (العمال)

نحنُ المصــادِرُ والموارِدْ
وسلاحُنــا فتلَ السّواعدْ
هاماتُنا ــ للمجد يرسو
حين نبدعُهُ ــ قواعدْ

(١) الديوان ــ ص ٢٤ .

وقلوبنـــا نبـــعُ المـكارِم

ليس يَنْضَب ، والمحـامِدْ

ودمـــاؤنـا الحَـمْــراءُ

للحريّـــة العليـــا روافِــدْ

ولنـــا الأيادي البيـضُ

لا ينسى الأيادي غيرُ جاحـدْ

وبنـــا إذا تَـدْهو الشّدائـدُ

كان تفريـــجُ الشّـدائِــــدْ

***

إن اسمنـــا العمّال لا نلـهـو

بِـلَغْـو عـــن مقـــاصِدْ

نقـْضي على حـــدّ الأسِنـّـةِ

لا النـّمـــارقِ والوَسـائِدْ

ونقابـــلُ الظـّــلم الفرِيَّ

بهمّـــة تَـفْـري الجلامِـــدْ

ونـــذيبُ في نار الجهــادِ
وحرّمــا عنــّا الصّفائــدْ
لسْنــا كمن يَهْذي عــلى
الأعْــواد بالخُطَبِ الرّواعِــد

* * *

ومن العجــائبِ في المصائب
فُرْقَــةٌ والهَمُّ واحِــدْ
نَقْضي الحيــاةَ على خصام
بين زَمّــامٍ وحامِــدْ
راجتْ أباطيــلُ التبجّــح
بيننــا والفَضْــل كاسِــدْ
والخــير بات ضحيّــةً
مــا بين هَــدّامٍ وناقِــدْ

٢ ــ رثاء حمال [1]

أوحى بهذه القصيدة أن الشاعر رأى حمـــالاً ميتاً ويجانبه سله وحبله على قارعة الطريق في مدينة حيفـا والناس يمرون به فلا يأبهون بمنظره [1] .

قد عِشتَ في الناس غريباً وها
قد مُتّ بين الناس مَوْتَ الغريبْ

(١) الديوان ص ١٨ ، وقدم الدكتور ناصر الدين الأسد منهـــا ثمانية عشر بيتاً ص ١٧٥ – ١٦٦ .

والناس مُذْ كانوا ذوو قسوةٍ
وليس لِلبائس فيهم نَصيبْ
لو كنتَ في حبلك شنّاقَهم
لَولْولوا حزناً وشقّوا الجيوبْ
أو كنتَ من «سلك»[1] رزّاقهُمْ
لقامَ عند السّل ألفا خطيبْ
ونزّهوا حبلَكَ عن عَيْبه
وبالّوا السّل بذَوْب القلوبْ
لكنك الحمّالُ لم يَطْمَعوا
فيك ولم يخشَوا أذاك الرّهيبْ
رَغيفُك الطّاهِرُ غمّسْته
من عَرَقٍ زاكٍ ودمع صَبيبْ

(١) السّل: وعاء يصنع من شقاق القصب ونحوه تحمل فيه الفاكهة ونحوها – المعجم الوسيط الجزء الأول – الطبعة الثانية ١٩٧٢ – مادة « سل » بمجمع اللغة العربية – ج، م. ع. ص ٤٤٥ .

ما كنت سلاباً أخا غَصْبةٍ
بل كنتَ ذا حق سليبٍ غصيبْ
فرحتَ لم يَسكبْ عليك امرؤٌ
دمعاً ولا قلبٌ رفيقٌ يَلوب
ولم يودّعكَ حبيبٌ وقدْ
يُهَوّن الصّعب وداعُ الحبيبْ

***

حبلُك والسّلُّ لقد أوْدَيا
بهيبة الموتِ الوقور الرّهيبْ
وفيهما لو أنصفوا رفعةٌ
وشاهدا أفضل ، وخيرٍ وطيب
قد مرّ أهلُ الدّرب لم يأبهوا
لِلمُهمَل المطروحِ فوقَ الدُّروبْ
كمْ قد سألتَ الناس ماءً فلمْ
يُجِبك النزْع شفيقٌ مُجيبْ

أو استعنتَ الطبَّ لكنما
لم تملكْ الأجر ففرّ الطبيبْ
أو ربما أوصيتْ أو شئتَ أنْ
توصي فلم يَسمعك حانٍ قريبْ
رب صغيرٍ لك خلّفتَه
منتظراً إياك حتى تؤوبْ
يرجوكَ للجوع الذي شفّه
يا غائباً عنه وطال المغيبْ

***

إنّ قوافيّ على قحطها
تلقى بمرآكَ الجمالَ الخصيبْ
برودك الهادىءُ قد هاجها
فجرّرت غضبي ذيول اللهيب

يا موقِظَ النقمة في أضالعي
بسمت في عيني الجمالَ العجيب

***

لِثوبك الرّثِ وإخلاقه
كرهتُ أثوابَ الحريرِ القشيبْ
والجسدَ الجامد في يبسه
كرّه لي الغُصن الطريّ الرطيبْ
وصمتك الرائعُ يا موحشي
بغّض لي الصوت الحنونْ الطروبْ
زهّدتني بالعيش في معشرٍ
عارٍ عن الرحمةِ خاوٍ جديبْ
حياتك المأساة مثلتها
ذِروتها الفصلُ الأخير الكئيبْ
وراقبَ الناسُ تفاصيلها
لكنه ما إنْ وعاها رقيبْ

يا حسرتاه قد فاتني بَدْؤهـا
وأُسْدِلَتْ قبلي عليها الحجوبْ
أولا فلو أبصَرتها كلها
لكنتُ من وجدي وحزني أذوبْ
إني من الناس ولكنني
في رقتي عنهم بعيد جنيب
أبكي على الظالم من رقةٍ
وخِنجر الظالم مني شَريبْ
فِراقُ هذا الناس عيدٌ فلا
تجزعْ وذي الرّاحةُ بعد اللّغوبْ

٣ - تبسم [1]

إن تجدْ باب الأماني مُغلقاً
لا تُكَشِّر أو تَلُم من « سَكْرِه »
إن بوّاب الأماني مَرِحٌ
يَبغض اليأسَ، ويخشى الكَشَر.
فتبسّم يا عزيزي

(١) الديوان ص ٢٣ .

يا عزيزي هل ترى الكشرة قـــد
أرجعت من فائتٍ بعـدَ فواتِ ؟
بينما البَسمَـــةُ أدْنت قاصياً
أوَمـا جَرَّبت سِحْر البسماتِ ؟

فتبسَّم

إنَّ للعيشِ طريقــين همـــا
الجِدُّ في الضَّحك وجِدٌّ في البكاءْ
لا تقـــلْ أجبرتُ في شَرّهمـا
فلك الخيرةُ فاخترْ مـــا تشاءْ

يا عزيزي

ثم ما ساءك من هـــذي الدُّنى
ما الذي رَدَّ لك الطَّرْفَ كليلا ؟
إنَّ دُنيـــاكَ التي تصنعُهـا
فَـسّرْ الأشياءَ تفسيراً جميـــلا

وتبسم يا عزيزي

إن يكنْ خانكَ إلفٌ في الهوى
وتذَوَّقْتَ مريراً غَـــدْرَهُ
فهو أعفاك وأخلى عامِداً
شقةً في القلبِ اسْكِنْ غيرَهُ
وتبسم يا عزيزي

٤ - حجر في كثبان رمل [١]

(بين تدمر والعراق مهمة قدّر للشاعر أن يقطعه طريداً ، ووجد نفسه غريباً غربة حجر هناك فأسند رأسه اليه وراح يفكر فيه وهو يؤكد أن الحجر دلّه أخيراً على الطريق) [١]

(١) الديوان ص ٢١ - ٢٢ ، وأورد الدكتور ناصر الدين الأسد منها سبعة عشر بيتاً ص ١٧٦ - ١٧٧ .

فيمَ انفرادُك لا أنيسَ ... تراه في القَفْرِ المُخيفْ
في رِبقة الوَهَج الحَرورِ ... وغلّ عاصفةٍ عصوفْ
وصبرتَ للهُوج اللّوافِحِ ... في الضُّحى صَبر الأنوفْ
أرَضيتَ بالصحراء عَنْ ... ظِلِّ المُنَمّقَةِ الغَريفْ
وطلبتَ وَحْدة راهبٍ ... فيها وعُزلةَ فيلسوفْ

***

هل كنتَ يوماً في القصورِ ... وعِفتَ ضافيةَ القصورِ ؟
وأبيت أن تُبنى عليك ... صروح بهتان وزورِ
فنجوتَ للصحراء من ... صَخَبِ المزاهر والزُّمورِ
تعلو على نغَم الأنينِ ... ونَشْجة القلبِ الكسيرِ
أم كنتَ شاهد مَصرعِ الأخلاق في البيتِ الكبيرِ
فهربت إنك في الجمادِ ... إذن لذو أسمى شُعور

***

هل كنت قطّ بجنّة	من كيد باغٍ ظالمِ ؟
وحميت هامَـة مُبتَلي	وفلَـقْت هامَة غاشمِ
وجثمتَ فوقَ عِظامـهِ	فصرخنَ تحت الجاثمِ
هل كنت سدّاً فوقَـه	تكبو مطايا القاحمِ ؟
وعلى المهامــةِ ضوءة	تهدي ضلالَ الهائمِ
إنْ كنتَ ذاك بَذَذْتَ	في الإحسان خِلقةَ آدمِ

★★★

أنتَ الوحيدُ هنـــا	وما لي لا أقول أنا الوحيدْ
هيمان لا أدري الغداةَ	طريقَ منجاتي طَريدْ
وإذا قعدتُ كما قعدتَ	أضرَّ بالروح القُعودْ
والرُّوح يا بعضَ الجمـاد	عَنىً وَتحمّلُها يؤودْ
تأبى الجمودَ حصافةً	منهـا ويأباها الجمودْ
قل لي : اذا لك مسلكٌ	جَددَ ومُطّرق سديدْ ؟

ثالثاً : الشعر التأملي
او نظرات في الحياة والناس

١ - في حالة غضب (١)

هل غيرُ سيلٍ من دمٍ دافقٍ
يَرْوي غليلَ السّاخط الحانِقِ ؟
أم غيرَ لألاء الظّبا والقَنَا
يُزيل من قلبي دُجى الفاسِقِ ؟

---

(١) الديوان ص ٢٠ .

كرهتُ ذا العالمَ هل مأبقٌ
في عالمٍ آخرٍ للآبقِ ؟
ضاقت بيَ الدُّنيا وإني بها
أضيقُ ، يا لي من فتىً ضائقِ ؟
روحيَ عِبءٌ مثقلٌ عاتقي
أيَّانَ ألقي العبءَ عن عاتقي ؟
تَغْلو على الناس ولكنني
أبيعُها للناس بالدافقِ ؟

***

متى أراني بتُّ طيَّ الثَّرى
يَسْحَقُني بالكَلْكل السَّاحقِ ؟
وأغمضُ العينينِ عن عالَمٍ
لا يمتلي فيه سوى الفاسقِ
يحظى به الكذّابُ بالمشتَهى
والتَّعْس للمخلصِ والصّادقِ

الخير والخبز غــدا حِكرةً
لبعضهم والوَيْــلُ للسّارقِ
هُمْ أوْجدوا السّارقَ من حاجةٍ
وقيل هَذي قِسْمــة الخالقِ
يا منطقاً لم يُرْوَ عن عـاقلٍ
العيُّ خيرٌ منــه للنـاطِقِ
قد مُحِقَ العدْلُ فـلا عادِلٌ
أمَا لأهل الأرض من ماحقٍ ؟

***

متى أرى الحقّ وأصحابَــه
يَعلونَ من أدْنى الى شاهِقٍ ؟
وأبْصر الشّرّ وأربابَــه
يَهْوون من أعلى الى ساحِقٍ

٢ - أفكار في لزوم ما لا يلزم[١]
او لزوميات

(أ) هكذا قسم الاله

بغى في قسمة الأرزاق ناس
وقالوا هكذا قسم الإله
وقالوا إن أحب الله عبداً
برزقته المقدرة ابتلاه

---

(١) الديوان ص ٢٩ وقد اقتصر على اللزوميات الثلاث أ ، ب ، ج .

دَعونا إنْ يكنْ هذا صَحيحاً
يَرَ الفقراءُ معبوداً خـلاهُ
رأيت القلبَ إما ضاق َصبراً
بمحبوبٍ لحِرمـــان سَلاهُ
لقد وصفوا الإله بشر ظلمٍ
بما كذبوا : تنزّه في عـلاه

(ب) هل هذا كلام

قالَ الظالمون وقــدْ تمادَوا
بظلم الناسِ غايتُنا السّلامُ
كلما رامَ طرحَ القيدِ عبدٌ
وفكّ قيودِه غـَضبوا ولاموا
وقــالوا أثائرٌ يبغي احْتِزاماً
لمالـَمهمْ ، فهلْ هذا كلام ؟

فإنْ ننظرْ اليهم باحْتِقارٍ
وإنْ نحقدْ عليهم هلْ نُلام؟

(ج) انصفني فأنا أخوك

أتينا للحياة فلي نصيبٌ
كما لك أنت في الدنيا نصيبُ
فلمْ تَعْدو وتغصبني حقوقي
وتطلبُ أن يُسالمك الغَصيبُ؟
أعدْلكَ قال أن أسمى وتجني
وأطلب المعاش فلا أُصيبُ؟
فانصفني ولا تجحف فإني
أخوك اذا دها الخطبُ العصيب

(د) غريب بين الناس[1]

الى من هادم جسمي فُتاتاً
فجابل طينتي فمعيدَ سَبْكي
فيعبكني بهذا الناس إني
غريبٌ بينهم فيجيدَ عَبْكي
فإنهمُ رأوا ورأيتُ شيئاً
فراحوا يضحكون ورحتُ أبكي
كأني مِنْ روايتهم نشازٌ
سها الراوي فلم يحفَلْ بحَبكي

(ه) النضال شيء يحب

جعلت نضالي الظُلم هماً ودَيدناً
لأني به حلّت لديّ المعاضلُ

(١) هذه اللزوميات الثلاث: د، ه، و، غير موجودة في الديوان،

فأحببته حُبَّ الحياة لِفضْلهِ
عليَّ، ولا تُنسى لديَّ المفاضِلُ

فواعجباً إنْ نلتُ غاية مَطْلبي
غداً فيم ألقاني أعود أناضِلُ ؟

وإن وَصلتْ أرضي رغابي مطيةً
فهل لسمائي عن وِصاليَ عاضِلُ ؟

(و) مشكلة القوافي

أرى المعنى بقلبي جِدَّ وافٍ
وإنْ انظمْه يصبحْ غيرَ وافِ

فأبحثُ عن بقـــاياه فألقى
بقاياه بأسْنانِ القَوافي

فواتعباً تعوَّقت المعــاني
ولم تتْعَب وعبَّت في عَوافي

وأما كنتُ في جنانِ عَـدْن
تجرر بي لصحراء السَّوافي

اتنثُرنا القوافي في قصيدٍ

كما نُعثر الحجيجُ على طوافِ

فهل من شارعٍ شرعاً صحيحا

يوافينا الحقوق على ليّاف

* * *

٣ - العيد (١)

اذا رق إحساسُنا في الوُجودْ
وفاضتْ أحاسيسُنا الشّاعِرهْ
اذا ما صهرْنا قيودَ العبيدِ
بنارٍ من القوة القاهِرَهْ
اذا مـا نَعِمْنا بلقيا المُنَى
وقرّت رَغائبنـا الحائِرَهْ

(١) الديوان ص ١٤ ، حياة الادب الفلسطيني ص ٢٧٠ .

اذا كان هــــذا فَثمَّةَ عيدٌ

وتلكَ مظاهره السّاحِرهْ

وثمتَ بحسْن وَجْه الْحياةِ

فتصبحُ فتّـانةً ناضِرَهْ

وتجملُ دُنـْيا زَهـِرْ تابها

والا فموعدُنا الآخِـــرهْ

* * *

عن شعر عبد الرحيم محمود

خذوا ريشة الفن خطوا لها
سهول البلاد ووديـــانها
من العرق والعذب رووا السهول
وروض البلاد وبستـــانها
عن الدم خطوا رؤوس الجبال
وهام الرواسي وكثبانهـا
هو الغد لو حكم يا شباب
فخطوا من العزم عنوانهـــا
غد لوحة بين أيدي الشباب
فلا تسلموا الأمر عميـــانها

رابعاً : الشعر الوجداني

(١) يا حياتي[1]

انظري لي واجعلي العطفَ يسيلْ مِنْ نظراتكْ
واغمزيني فلقدْ طالَ انتظاري غمزاتكْ
وابسمي لي يا حياتي فالمنى في بسماتكْ
ودعي صدّي ، فما كالصدّ بالعشاق فاتكْ

(١) الديوان ص ٣١ .

لا تناسيني فأنسى بالهوى من ذكرياتِكْ

* * *

إفرضيني آدماً أخطأتُ لكنّي أتوبُ
قد تعذّبتُ فأيان لِفِرْدوسي أؤوب
أو تَرضَين لِقلبي يَتَقَلّى ويَذُوب ؟
وشبابي بِهُيامي فيكَ يَذْوي ويذوب ؟

* * *

أنظري لي واتركيني أجتلي سرّ الفتونِ
يا لعينيكِ ويا لي بهما جُنّ جنوني
فيهما ما لم يَكنْ هاروت يدري من فنونِ
انظري لي واغرزي الأهدابَ في قلبي الطّعين
إذبحيني بلحاظ وادفنيني في الجفون

(٢) لقد تهت [١]

قد سدّوا العالم في وجهه
وارحمتا للعاشق المُستهام -
معطّم القلب اذا لمّه
عادوا فخلوه كسيراً حطام
لم يتركوا المسكينَ في همّه
بل حمّلوه كل عبءِ الملام

(١) الديوان ص ٣٥ .

يا لائمي في الحب دعني فقد
يزداد باللّوم سعير الغرام
تُريد أن تُطفِىءَ نار الجَوى
فَتُفرقُ الصَّبَّ الدُّموعُ الحسام
سَلْمى لقد تُهتُ فهذي يدي
سَلْمى فقوديني عَبر الظّلام
أنتِ بَصيصُ النور في ناظري
والخانِق الثّائِرُ بين العِظام

***

(٣) السكر مشغلي [١]

قالوا سيقتلك الغرام
فقلتُ مالكمُ وقتلي
ان كنتُ أرضى الموتَ في حُبّي
دعوا لومي وعذلي
نشوانُ من ريق الحبيب
وسحر ألحاظٍ ودلِّ

(١) الديوان ص ٣٤ .

همّ يا حبيبي يَبْتَغُون
فِراقَنا تَفديك أهلي
لقد اعْتصمتُ بحبْل حُبّك
فاعتصِمْ حُبّاً بِحَبْلي

* * *

(٤) لعبة (١)

(أهْدَى الشاعر دُمية من الشمع الى ممرضة لبنانية كانت تعملُ في نابلس ومعها هذه الأبيات) .

لُعْبَةٌ تُهدى لِلُعْبة مِنْ فَتَى يكتُم حُبّه
أنت لوْ ترضَيْن شيئاً غيرَها أعطاكِ قلبه
فاذْكريه فهو قدْ أشغَلَ في ذِكْراك لُبَّه

(١) الديوان ص ٣٣ .

قابلي الحُسن بِعَطفٍ　　هكذا تقضي المَحَبّه
رُبما ساءَكِ ما قُلتُ　　فجاوبت بِغَضَبَه
ان تَشائي فهو صِدقٌ　　أو تَشائي فهو كِذبَه

★★★

(٥) اليها [١]

دَعيني فقدْ ايقظتِ بي كامِنَ الأسى
وهجْتِ جراح الحبّ في قلبي الدّامي
غدرتِ وجئتِ الآن تستَغفِرينني
لِنقْضكِ عهدَ الحبّ من بعْد إبْرامِ
دعيني فلا قلبي عليكِ بعاطِفٍ
حناناً ولا دمعي لدى فُرْقةٍ هامي

(١) الديوان ص ٣٠ ،

لقــد ضلّ عقلي فيكِ يوماً وها أنا
عَرفتُ سبيلَ الحبّ من بعد تَهيامي
ُربيتِ على روحي ، نعم وعلى ُدمَى
ولكن ُسدىً ضاعتْ بحُبّكِ أيامي
فياليتني من قبلُ صَدّقْت ُعذّلي
وطــاوعْتُ في بــدْء المَلامة لوّامي
بنيتُ وأعليْتُ الأماني ضَلـّةً
فهدّمتِ لي بالغدْرِ شامخ أحلامي
طـَمستِ على قلبي فــلا اسمكِ فوقه
يعيشُ ولا زهوْ الهوى فوقه نامي
وقلبُكِ هــذا يا لقـَلبكِ غــادراً
سأسْحقــه ثأراً لقلبي بأقْدامي
فذوقي الذي قد ُذقتُ انتِ ظـَلـّمتِني
بحُبي وامــالي ولستُ بظـَلاّمِ

(٦) روحي (١)

روحي فقد راحَ الذي بيننا
كالبارحِ السّالفِ ما إن يَعودْ
روحي ولا تأسَيْ على حالتي
وانسَيْ مواثيقي ، وخوني العهودْ
لا تحمِلي من ذكر عهدِ الهوى
إن الهوى صعبٌ وحِمْل يَؤودْ
روحي

(١) الديوان ص ٣٢ .

دمعي الذي أذلَلت ِ كَفَكَفتُهُ
أوّاه كم أذللت ِ لي من ُدموعْ
وجرح ُ هذا القلب ِ لَمْلَمْتُه
وأطفيء ُ المحرَق بين الضّلوع
وعقلي الهائم أرْجَعْتُه
ولم أكنْ آمَل ُ منه الرّجوع
روحي

روحي فما الاشراك ُ من مذْهبي
ولست ُ أرْضى في حبيبي الشّريك
أنا « أناني » ولم ارضَ أن
أرى على قلبك غيري َمليك
أبوك ِ لو أوليتَه ِ نظْرَةً
كرهت ُ ُدنيايَ ودنيا أبيك
روحي

نزعت من قلبي نَباتَ الهوى

وتحتْ أقـدامي لقد دُسْتُهُ

وخِفتُ من قلبي ضَلالَ الهوى

ورجْمَةَ الماضي فحطّمته

إن عادَ قلبي للذي قد مضى

أتيتُ بالنــار وأشعَلتُهُ

روحي

إذا تلاقَينا فــلا تَنظري

أرى وَميضَ الغَدْرِ في ناظريكِ

ولا تُشيري لي ولا تُومئي

وددْتُ لو تُقطع كِلتا يَديكِ

روحي فقد راحَ الذي بَيْنَنـا

ولهفةَ الحبْ وقلبي عَليــكِ

روحي

روحي شبابي أنتِ أيا منيتي

من أملٍ زاكٍ رجاءُ الشبابْ

لا تذكري الماضي .. ماذا بهِ

هل ذقتُ في حبيكِ إلا العذابْ ؟

كتابُ ماضيك مأسىً كلّه

لا تقرئي منه بل اطوي الكتابْ

روحي

(٧) كبرياء الحب [١]

اسمعي يامن.. لقد خُنتِ عهدَ الهوى
ونسيتِ أو تناسيتِ الودادا
ان قلبــاً بالجوى أحرقتِه
سوف أذروه بعينيك رَمــادا
وخضوعــاً كان بي فيما مضى
سيصير الآن كِبْراً وعِنــادا

(١) الديوان ص ٤٢ .

وإذا حنَّ فؤادي لِلّقـــا

فاجْتَثَتْ من الصَّدْرِ الفؤادا

***

اسمعي لا تذْكري الماضي فـلا

رَجعَ الماضي ولا البارحُ عادا

ودعي – لا تقرئي من صفحةٍ

قد جعلْنا أبيضَ الماضي سوادا

لا الأزاهيرُ تبسّمن لنـــا

وتَشادَيْن ولا الميّادُ عـــادا

وطيورُ الرّوض لا غـَنـّتْ ولا

سَتَرَ الليلُ علينا حين سادا

ولا تعانقنـــا غراماً مرّة

وتراشَفْنا من الريق الشّهادا

اغضبي أو صعّري خدّك لي

وخذي غيري عُشاقا جُدادا

واهجريني وابعدي عني فلا
أرهب الهجر، ولا أخشى البعادا
وتناسى كيفَ شِدنا عشنا
قد هدمنا ما بنى الحبُ وشادا
وسأنساكِ ولا أتركُ في
ذكرياتي لكِ ذِكراً مُستعادا

(٨) مخلوقة انت فلا تكبري [١]

خـالتني الميّتَ من صَدّها
والعائِشَ الدّهرُ مُعنّـىً عليل
قالت قتيلي انت قلت اعلـَمي
أنْ قد صحا الساهي وعاد القتيل
مَلتِ الى غيري واني امرُؤٌ
إن مالتْ الرُّوح فمنها أميل

(١) الديوان ص ٤٣ .

قالتْ فسِحري لم يزلْ فاعلا
قلت .. فهاتي عليه دَليل
مخلوقَـةٌ أنت فـلا تكـبري
مثلك بين الناس ألفٌ مَثيل

***

قالتْ إذا رُحتُ فلا عوْدةٌ
إمّا تشكـّيتَ النّوى والصّدود
قلتُ ومن يَخلُص من قيْده
أيَنثني يَطلُبُ ذلّ القيود ؟
نجوتُ من نارٍ فلا تَحسَبي
أني الى النّارِ حياتي أعود
قالتْ أتنسى ؟ قلتُ لِمَ لا وقد
نسيتِ ميثاقي وخُنتِ العهود
غـداً أرى غيرك لي وافياً
وأبدل الحبْ بحبٍّ جديد

***

أخلصتُــك الودَّ وجازيتني

بالغدر ما أظلَـم هذا الجزاء

وإذْ بأحلامي التي شِدتُها

تنهارَ س فوقي وتغـدو هباء

لكن سأبنيهـا فلا تشمتي

نـعَم سأبنيها وأعـلي البـِناء

مِثلي كما قلتِ رِجـالٌ ولا

يُدْركُهُمْ حصْرٌ، كذاكَ النساء

(٩) جفت على شفتي الأماني[1]

دع عنك رائعة الأغـاني جفـَّت على شفتي الأماني
«ارفوس[2]» ليس بمستطيـع أن يُهَـدهـد لي جَناني

(١) الديوان ص٢٧ وهي مكونة فيه من٢٩ بيتاً أضفنا اليها بيتين فبلغ عدد الأبيات ٣١ بيتاً ، وقد اختلف تركيب الأبيات واختلفت بعض التعبيرات . ومصدرها عندنا الصحيفة الفلسطينية التي نشرتها والتي فسر فيها بنفسه معاني الكلمات ارفوس ، والقصي ، ولغى ،

(٢) أرفوس: رب القيثار تأنس له الوحوش (اقصوصة اغريقية).

أدرِ الكؤوسَ مليئةً وذرِ المثالثَ والمثاني
بلْ بالدّنان فمـاطني لا أرتوي بسوى الدنان
هاتِ اسقني كأساً لأنسى فوقَ أرضك ما كياني
هات اسقني حتى أحلق من سمائي في العنان
وأفرُّ من شَرَكِ الزمان ومن حبائلِ المكان
أتسلّقُ النور الشّعاع إلى كواكب لي رواني
أنا من هناك من السماء فمن على الدنيا رماني؟
عن دنس القدْس الطهور وحطّ بالصف الحصان
أو فاسقني بالقبّة الزرقاء كأسُك ما رواني
هو من ثرى التُّرب الخسيس فما أفادَ وما شفاني
وأراه لم يَبعثْ بقلبي بعض آمالي الغواني
أدنى من الألم القصيّ (١) وأضاعَ أحلامي الدواني

***

هاتِ اسقني واجعل كؤوس الرّاح أفواهَ الحسان

---

(١) القصي البعيد .

فأذوقُـهـا مَمزوجَةً بشذا الهوى ولَفي[1] الحنان
أو فاسقينها في العيو ن الموحيات لي المعاني
أو في النحور البيض تُفري فوقَ أغصانٍ لدان
أو في كمام الورد ربما او ثغور الأقحوان
هذي اوانٍ .. والجمالُ يزيده حُسن الأواني
والراح روح ليس يَجلوها سوى حُسنِ المباني

***

هاتِ اسقني واحلُلْ براحك عُقدة زمّت لساني
إني اراني إن ظَمِئتُ الى الطلاعيّ البيان
شفتي وكأسك عاشقان عن الهوى يتحدثان
غنصاً من الدّهر الخؤون مُنىً فباتا في قران
دقات قلبي والحباب من الجوى يتشاكيان

---

(١) لفى الطائر غرده .

هاتِ اسقني كأساً لأغرق   فيه اثقَلَ ما اعاني
جسمي وروحي في سَعير   سَرْمَدٍ يتحرّقان
يوحي اليّ الكأس ما   يوحي فعزّوني بشان
للشيع في قلبي الحزين   رؤى رجاها من زمان
اطفىء صداي فإنني   جَفّتْ على شفتي الأماني

(١٠) نجوى المحتضرة

(قيلت سنة ١٩٣٦ على لسان ليلى الصفوري
تخاطب ابراهيم طوقان [١] :

---

(١) الديوان ص ٣٦ وليس هناك فتاة تسمى بهذا الاسم واسم الفتاة التي أحبت ابراهيم ، ونظم فيها معظم قصائده الغزلية « ماري الصفوري » ويرمز اليها من الكتب التي تناولت قصتها مع ابراهيم بالحرفين م. ص. انظر المصدرين التاليين :

١ - الدكتور عمر فروخ - شاعران معاصران ص٨٣ - ٩٢.

٢ - يعقوب العودات- البدوي الملثم- الغواني في شعر ابراهيم =

دنا الموتُ مني « أبا جَعْفَرِ »[1]
وغاض الجمالُ ، وزاغَ البصَرْ
سأقضي غداً فالوداعَ الوداع
وَداع الفِراق وَداع العُمُرْ
واعبرُ برزخَ هذي الحياة
وكلُّ عناءٍ له مُستَقَرْ

***

= طوقان ص ٣٢ وما بعدها .

وقد نشرت قصيدة نجوى المحتضرة في مجلة الأمالي البيروتية – السنة الأولى – العدد ١١ سنة ١٩٣٨ ص ٣٤٤ – ٣٤٥ وأورد بعض أبياتها الدكتور عبدالرحمن ياغي في كتابه حياة الأدب الفلسطيني ص٢٥٨ مشيراً الى ورودها في ديوان الشاعر الذي نشرته اللجنة في ١٩٥٨/٥/٦ في عمان .

(١) ابو جعفر – كنية الشاعر ابراهيم طوقان .

لك الله سعّرتَ نـار الجـَوى

بقلبي وجانـَبْتَ لمــا استَعَرْ

فكنتُ أُنادي الحـَريقَ الحريقَ

وناديتُ يا نـار كـُوني أحَرْ

وما كنتَ تعطِفُ عَطف العشيقَ

وتحْنو حُنُوّ الحبيـــبِ الأبَرْ

تعذّبْتُ في الحبّ مَن في الهوى

تذَوّقَ ما ذقتُ، مَنْ في البَشَرْ؟

أهنتُ عزيزي وأسلمتُ نَفْسي

إليـكَ لِترْضى ألا تذّكِرْ ؟

وخالفتْ أهـــلي وعـادَيتُهمْ

وهـُمْ مثلما قد عُلِمَت الغُسُرْ

وحاذَرْتُ منك النّوى والصّدودَ

ولم يُغنِ عني شَديدُ الحـَذَرْ

وها أنت قد بِنْتَ واحَسْرتاهُ

وغادَرْتني لِمذَاري أُخَرْ

ولم يبقَ منك سوى ذِكْرياتٍ

ولم يبقَ لي منكَ إلا صُوَرْ

فها أنتَ في الدَّيرِ تَشْكو الهوى

ومن ألم البُعْد لا تَحْتَضِرْ

وها أنتَ تبكي بُكاء الرَّضيعِ

فأمتصُ من مُقلتيكَ العِبَرْ

وأرمي بنفسي على ساعِدَيْكَ

فترفُقُ بالخَصر لا يَنْكَسِرْ

تدغدغُ نهدي يا لَلغَرامِ

ويا لَزمان تقضَّى ومَرّ

وها أنذا في فِراش الممات

أتسمعُ نَجْوى التي تَحْتضِرْ ؟

* * *

عَجِبتُ لِقلبي يصونُ العهودَ
ويُوفي الوعودَ لِمنْ قد غَدَرْ
فليتكَ يا قلبُ لما عَلِقْتَ
بـه صَرعتك أيادي القَدَرْ
لقـد قُدْتني لِسبيل الفنـاء
ومَنْ كان هاديه أعمى عَثَرْ

* * *

لِمَ الذُلّ يا ربّة الكِبْرياءِ
لإذلالك النّفس إحدى الكُبَرْ
ستقضِين عما قريب فما
يَهُمُّك هَجْرُ الذي قد هَجَرْ
تناسيهِ لا يزدهيه الغُرورُ
فيشمتُ قلبٌ له كالحَجَرْ

***

أموتُ وتهوى من الغيدِ غيري
لهذا من الموتِ عنـــدي أمَرّْ
أبعـدي تهونُ على مَنْ تُحِب
لِيَ الله غـــائرة تَسْتَعِرْ

* * *

وددتُ لو أنـك بين اليَـــدين
أضمُّـك للصَّـدر ضَمّاً عَسِرْ
وألتفُّ لَفَّ الأفاعي عَليكَ
وانظـُرُ سُمّي فيــك انتَشَر
ويَجْمعنــــا ميتين السَّريرُ
ويا طالما جمعَتنا السُّرُر
وتقضي ويقضْين حُزناً عليك
ومــا نال منك سواي الوَطَرْ

* * *

ولكنْ لمـــاذا بل ابقَ ابراهيم
وخذْ في هَوى الغيدِ بعدي وذرْ
سأصبرُ باقي هذي الحياة
وأيُّ الأحبّـــة مثلي صَبَرْ ؟
ولكن تعالَ وقفْ فوق رأسي
وقبّل مَعين اللّمـى والحوَرْ
وبللْ مُصوّح وردِ الخدودِ
بدْمعكَ السّـــاجم المنهَمِرْ
اموت ابا جعفرٍ فالوداعَ
وداعَ الفِراق وداعَ العُمُرْ

من شعر عبد الرحيم محمود

روحيَ عبء مثقل عـــاتقي

اياك القي العبء عن عـــاتقي

تغلو على الناس ولكنني

ابيعها للناس بالدافق

يا ليتني اشلاء في مهمة

منـاشة النـــاعب والناعق

وبقصيدة نجوى المحتضرة تنتهي القصائد والمقطوعات التي عثرنا عليها للشاعر والتي تضمنهـا الديوان الذي تفضلت لجنة تكريم ذكر الشاعر بنشره منذ ستة عشر عاماً معظمها .

وقد أضفنا اليهـا مقطوعتين هما : أيام النضال من أربعة أبيات ، واحملوني في بيتين . وثلاث لزوميات هي : غريب بين الناس في أربعة أبيـات ، والنضال شيء يحب من أربعة أيضاً ، ومشكلة القوافي في ستة . وأضفنا عدداً من الأبيات الى القصائد التاليـة التي تضمنها الديوان :

١ — البطل الشهيد — ٢٥ بيتاً — حيث كانت في الديوان ١١ بيتاً فأصبحت ٣٦ بيتاً .

٢ — دعوة الى الجهاد — ٩ أبيات — حيث كانت في الديوان ١١ بيتاً فأصبحت ٢٠ بيتاً .

٣ — الشعب الباسل — ٦ أبيات — حيث كانت في الديوان ١٣ بيتاً فأصبحت ١٩ بيتاً .

٤ — حنين الى الوطن — ٢ بيتان — حيث كانت في الديوان ١٧ بيتاً فأصبحت ١٩ بيتاً .

٥ — جفت على شفتي الأماني — ٢ بيتان — حيث كانت في الديوان ٢٩ بيتاً فأصبحت ٣١ بيتاً .

٦ — لزوميات — ٤ أبيـــات — حيث كانت في الديوان ٣ أبيات فأصبحت ٧ أبيات .

ونرجو أن نكون قد قدمنا للقراء الأعزاء من أبناء فلسطين المجاهدة وأبناء الأمة العربية المجيدة في الوطن

العربي باقة عطرة من شعر الشاعر وسلّطنا الأضواء الكاشفة على جوانب من حياته وشعره . كما نأمل أن تسد هذه الدراسة الرائدة التي لم يسبق لها فيما نعلم الفراغ في المكتبة العربية عن شاعر بطل قدم شعره وحياته لبلاده وأمته وكان نجماً متألقاً يهتدي به الساءرون وقدوة يقتدي بها المجاهدون .

شاعر من فلسطين

فلسطين أرض البطولات ، انبتت تربتها الفتيان المغاوير والمجاهدين الشجعان الذين يتمثل كل واحد منهم قول الشاعر القديم :

إذا القومُ قالوا مَن فتًى خِلتُ أنّني
عُنيتُ فلَمْ أكْسَلْ ولم أتَبَلّدِ

والذين استعذبوا الردى حفاظاً على عروبة بلادهم ،

وذوداً عن كرامة أمتهم . أحفاد الأجداد الكرام يقتفون آثارهم وينسجون على منوالهم .

اذا مـات منا سيد قام سيد
فؤول بما قـال الكرام فعول

وقد ابتليت فلسطين بما لم يبتـــل به قطر عربي وكتب عليها أن تقاتل أقوى دول الأرض ، وأخبث شعوب العالم طوال ثلاثين سنة ، وأن تنثر الشهداء في ثراها ، وتزرعهم في بطاحهـا ، ووراء كل شهيد قصة من قصص البطولة العربية التي سجلهـا التاريخ للعرب في كل العصور .

والشاعر الذي نتحدث عنه في هذه الكلمة واحد من هؤلاء الأبطال قدم أولاً شعره وفنه لوطنه ، وقدم ثانياً دمه وروحه ، جاهد باللسان وجاهد بالسنان .

***

ولد عبد الرحيم محمود في قرية عنبتا من أعمال قضاء طولكرم وبها نمت طفولته، وترعرعت حداثته، وفي مدرستها الابتدائية تلقى ثقافته في المرحلة الأولى وانتقل الى كلية النجاح الوطنية في مدينة نابلس حيث عب معارفه في المرحلة الثانوية. وفي أثناء دراسته بها توهجت شاعريته، وتألقت موهبته التي كانت كامنة، والتقى فيها بشاعر فلسطين المطبوع ابراهيم طوقان وتوطدت بينهما روابط الود، ووشائج الفن وفي أجواء نابلس السحرية، ومنتدياتها الأدبية، ومؤتمراتها الوطنية وحلقات أسمارها، وموائد شعرها تجلت شاعرية عبد الرحيم، وأخذ يرسل في دنيا العرب أغاريده القوية، وأنغامه العذبة.

ورأت كلية النجاح أن طالبها النجيب قد غدا نجماً في سماء الشعر فاختارته معلماً للأدب العربي بها، وأدى مهمته على أحسن وجه إذ أضرم في طلابه شعلة الجهاد،

وألهب شعورهم القومي ، وحضهم على الجهاد والنضال ضد الانتداب البريطـاني والصهيونية ، وتطهير البلاد المقدسة من هذا الرجس. وتعاقبت الأعوام ، واقبـل عام ١٩٣٦ الذي اشتعلت فيه ثورة فلسطين الوطنيـة الكبرى وامتد لهيبها الى أنحـاء البلاد حتى عمت كل مدينة وقرية ، وشملت كل حاضرة وبادية وابتهج قلب الشاعر باشتعالها لأنـــه سيتيح له تلبية نداء الجهاد الحبيب الى نفسه وعبر عن فرحته وبهجتــه بقصيدته «دعوة الى الجهاد» التي يقول في مطلعها :

دعا الوطنُ الذّبيحُ إلى الجهاد
فطار لفَـرط فـَرْحته فؤادي
وسابقتُ النّـسيمَ ولا فتخارٌ
أليسَ عليّ أن أفدي بلادي ؟

واستقال الشاعر من وظيفته ولم يكن له يومئذ من

مورد رزق سواها – وهجر الفراش الوثير ، والحياة الوادعة الى رؤوس الجبال ، وبطون الأودية الى حومة الوغى وساحة الشرف الى كتائب الجهاد حيث يفترش الصخور ، ويتوسد الحجارة ويحتضن المدفع .

وأخذ يخوض المعارك العنيفة مع زملائه الأحرار ضد الجيش البريطاني يتقدم الصفوف ويقتحم الأخطار مؤملاً أن يظفر بنعمة الشهادة ولكن القـــدر يمهله ويستبقيه الى أجل .

ويبعث الشاعر من ساحات الجهاد إلى أبناء وطنه وأمته قصائده الحماسية الرائعة الزاخرة بتمجيد البذل والتضحية ، والتي تصور الشهيد في أبهى الصور ومـا أكثر هذه الأغاريد التي تغنى بهـا الفتيان والفتيات من أبناء وبنات فلسطين وسطروها على صفحات قلوبهم ، وطفقوا – وما يزالون – يرددونها في الغدو والآصال ،

ويتخذون منها أناشيد وطنية ، وقصائد حماسية يستظهرونها ويحملون منها نصوصاً أدبية تحفظ وتدرس . ومن درره المتألقة قصدته الشهيد التي يستهلها بقوله :

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الرّدى
فإما حياةٌ تُسرّ الصديقَ
وإما مماتٌ يَغيظُ العدى

***

وتتوقف الثورة الفلسطينية ، ويجد الشاعر نفسه مطارداً من حكومة الانتداب لأنه حارب جنودها ، فيضطر للهجرة من فلسطين الى العراق الشقيق حيث يقيم به زهاء أربع سنوات .

وفي خلال هذه السنوات الاربع يهزه الشوق الى فلسطين ويضنيه الحنين الى ربوعها فيذيب عواطفه في شعر معبر عن أساه ولوعته ولهفته على أن يكحل ناظريه بمرأى بلاده . وتتمثل له صورة فلسطين في كل ما يقع عليه بصره ومن تلك القصائد قصيدته حنين الى الوطن التي يقول في مطلعها :

تلك أوطاني وهذا رسمهـــا
في سويـــداء فؤادي محتفر
يـــتراءى لي بهجتهـــا
حيثما قلبت في الكـــون النظر

وتأسو الأيام جراح الشاعر ، ويسعـد بالعودة الى فلسطين وتتلقاه مدينة نابلس بالترحـاب ، ويستأنف عمله من جديد في كلية النجاح ، ويقوم بتدريس الأدب العربي لطلبة الكلية ، ويهادنه الزمن بعد الصراع المرير

وتتسع تجارب الشاعر ، وتعمق نظرته للحياة فينظم طائفة من القصائد في وصف الزمان وأهله، وفي النواحي الاجتماعية والانسانية .

وتمضي السنون ، ويقبل يوم ٢٩ نوفمبر من سنة ١٩٤٧ وتقرر هيئة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية . ويشمل ابناء فلسطين الثورة من جديد ضد قرار التقسيم ، ويصممون على محوه بدمائهم ويحن الشاعر الى الجهاد ، ويؤمل أن يظفر في هذه المرة بنعمة الاستشهاد التي لم ينلها عام ١٩٣٦ ، فيقدم استقالته للمرة الثانية من وظيفته في كلية النجاح، ويودع الزوج والأبناء والزملاء والأحباب والمدينة والقرية وينضم الى جيش الانقاذ الذي كان مرابطاً في منطقة طولكرم وتجتاز الجيوش العربية حدود فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ لتنقذ أهلها من براثن الصهيونية ويرابط جيش الانقاذ في منطقة الناصرة ، وفي معركة

الشجرة التي دارت بين جيش الانقاذ والعصابات الصهيونية سقط الشاعر البطل عبد الرحيم محمود شهيداً في حومة الشرف وميدان الكرامة ، وبكل شجاعة تحلق حوله زملاؤه واخوته المجاهدون وحملوه الى مثواه الاخير وهم يرددون في عزة وفخار قوله :

ساحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يغيظ العدى

وكان ذلك في ١٣ تموز سنة ١٩٤٨ . وهكذا انتهت قصة حياة هذا الشاعر البطل الذي كان استشهاده مسك الختام ، وأروع قصيدة في ديوان حياته .

مصادر البحث

---

١ - جزازات من الصحف الفلسطينية الصادرة في فلسطين والأردن في خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٥٠ وهي : فلسطين - الدفاع - الأخبار .

٢ - مجلة الرسالة التي كان يصدرها في القاهرة الاستاذ أحمد حسن الزيات سنة ١٩٣٦ .

٣ - رجاء النقاش - محمود درويش شاعر الأرض المحتلة - العدد ٢٢٠ من كتاب الهلال - يوليه ١٩٦٩

٤ – الدكتور زكي المحاسني – طوقان شاعر فلسطين في حياته وشعره ط ٢ – دار الفكر – القاهرة ١٩٦٦ .

٥ – عارف العارف – النكبة – نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ – ١٩٥٢ – الجزء الثالث – المكتبة العصرية – بيروت .

٦ – الدكتور عبد الرحمن ياغي – حياة الأدب الفلسطيني الحديث – بيروت ١٩٦٨

٧ – الدكتور عمر فروخ – شاعران معاصران – بيروت ١٩٥٤م

٨ – عيسى الناعوري – الجديد في الادب العربي للصف الاول الثانوي – ط ٢ – بيروت ١٩٥٠

٩ – عيسى الناعوري وابراهيم طوقان – بطولات عربية من فلسطين – المطبعة العصرية – القدس ١٩٥٥

١٠ ـ الدكتور كامــــل السوافيري ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ مكتبـــة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٦٤

١١ ـ الدكتور كامل السوافيري ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعــاصر ـ المكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٣

١٢ ـ محمد أحمد حماد ـ لباب الثقافــــة والأدب ـ الطبعة الأولى ـ دار القومية العربية للثقافـــة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٢

١٣ ـ مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ الجزء الأول ـ القسم الأول ـ منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٥

١٤ ـ الدكتور ناصر الدين الأسد ـ الشعر الحديث في

فلسطين والأردن – مطبوعات معهد الدراسات العربية – القاهرة ١٩٦٠

١٥ – يعقوب العودات – البـدوي الملثم – الغواني في شعر ابراهيم طوقان – دار الريحاني – بيروت ١٩٥٧

فهرس

دار العــــودة

واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين